

زهرة البرسيم

كامل كيلاني



زَهْرَةُ الْبَرْسيمِ

تأليف
كامل كيلاني



الناشر مؤسسة هنداوي سي أي سي

المشهرة برقم ١٠٥٨٥٩٧٠ بتاريخ ٢٦ / ١ / ٢٠١٧

٣ هاي ستريت، وندسور، SL4 1LD، المملكة المتحدة

تليفون: ١٧٥٣ ٨٣٢٥٢٢ (٠) ٤٤ +

البريد الإلكتروني: hindawi@hindawi.org

الموقع الإلكتروني: <http://www.hindawi.org>

إنَّ مؤسسة هنداوي سي أي سي غير مسؤولة عن آراء المؤلف وأفكاره،
وإنما يعبّر الكتاب عن آراء مؤلفه.

رسم الغلاف: حنان بغداداي.

الترقيم الدولي: ٩٧٨ ١ ٥٢٧٣ ٠٢٠٨ ٢

جميع الحقوق الخاصة بالإخراج الفني للكتاب وبصورة وتصميم الغلاف
محفوظة لمؤسسة هنداوي سي أي سي. جميع الحقوق الأخرى ذات الصلة بهذا
العمل خاضعة للملكية العامة.

Artistic Direction, Cover Artwork and Design Copyright © 2019

Hindawi Foundation C.I.C.

All other rights related to this work are in the public domain.

المحتويات

٧	فَاتِحَةُ الْقِصَّةِ
١٣	الفَصْلُ الْأَوَّلُ
٢٣	الفصل الثاني
٣٥	الفَصْلُ الثَّالِثُ
٤٣	الفصل الرابع
٥٣	أعلام الحيوان
٦١	أُسْرَةُ الْحَيَوَانَ

فَاتِحَةُ الْقِصَّةِ

(١) نَمُودَجُ الْحُسْنِ

كَانَتْ أَبْرَعُ بَنَاتِ جَنَسِهَا جَمَالًا، وَأَبْدَعُهُنَّ قَوَامًا (أَحْسَنَهُنَّ قَامَةً وَتَكْوِينًا وَاعْتِدَالَ جِسْمٍ)،
وَأَظْرَفَهُنَّ مَنْظَرًا. كَانَتْ — لَوَسَامَتِهَا، وَتَأَلَّقَ عَيْنَيْهَا، وَدَقَّةَ أَنْفِهَا الصَّغِيرِ الْوَرْدِيِّ، وَرَشَاقَةِ
أَقْدَامِهَا الْمُبْطِنَةِ بِالشَّعْرِ — مِثَالًا لِلْحُسْنِ وَنَمُودَجًا لِلْمَلَاخَةِ.



زَهْرَةُ الْبُرْسِيمِ

لَوْ رَأَيْتَهَا — وَهِيَ تَحْتَالُ وَتَتَبَخَّرُ فِي جَلْبَابِهَا الْأَبْيَضِ الْأَنِيْقِ — لَمَا تَمَالَكْتَ مِنْ فَرْطِ
الْإِعْجَابِ بِهَا، وَالْإِفْتِتَانِ بِمَنْظَرِهَا الرَّائِعِ الْأَخْاذِ.
كَانَ أَشْهَى غِدَائِهَا: الْبُرْسِيمُ.
كَانَتْ تُؤَثِّرُ هَذَا الطَّعَامَ (تُفَضِّلُهُ) عَلَى الْوَانَ الْأَطْعِمَةِ الْمُخْتَلِفَةِ الْأُخْرَى.
لَا تَعْجَبُ إِذَا أَطْلَقَ عَلَيْهَا صَوَاحِبُهَا وَرَفِيقَاتُهَا لَقَبَ «زَهْرَةَ الْبُرْسِيمِ».
كَانَتْ — بَيْنَ الْأَرَانِبِ — فِي مِثْلِ جَمَالِ الزَّهْرَةِ الَّتِي يَزْدَانُ بِهَا نَبَاتُ الْبُرْسِيمِ، وَهُوَ —
كَمَا حَدَّثْتُكَ — أَشْهَى طَعَامٍ تُحِبُّهُ الْأَرَانِبُ.

(٢) الْأُسْرَةُ السَّعِيدَةُ

كَانَتْ «زَهْرَةُ الْبُرْسِيمِ» — تِلْكَ الْأَرْزَنْبَةُ الصَّغِيرَةُ الظَّرِيفَةُ الشَّقْرَاءُ — تَعِيشُ مَعَ أَبَوَيْهَا،
وَأُخْتَيْهَا، وَإِخْوَتِهَا الثَّلَاثَةِ، فِي جُرٍ عَمِيقٍ، حَفَرَهُ أَبُوهَا «الْخَزْرُ» فِي سَفْحٍ؛ أَعْنِي: مَكَانًا
مُنْخَفِضًا — اخْتَارَهُ لِسُكْنَاهُ — يَكْتَنِفُهُ سِيَاحٌ (يُحِيطُ بِهِ سُورٌ) مِنَ الْأَعْشَابِ، بِالْقُرْبِ مِنْ
بَعْضِ التَّلَالِ الْمُشْمِسَةِ الرَّمْلِيَّةِ.
كَانَ «الْخَزْرُ» خَيْرَ مِثَالٍ لِرَبِّ الْأُسْرَةِ الْبَارِّ الشَّفِيقِ.
كَانَتْ زَوْجَتُهُ «عِكْرِشَةُ» تُحِبُّهُ حُبًّا جَمًّا، لِإِخْلَاصِهِ وَدَمَائَتِهِ خُلُقِهِ (سُهُولَتِهِ وَلِينِ طَبْعِهِ).
كَانَ «الْخَزْرُ» — فِي الْحَقِيقَةِ — جَدِيرًا بِكُلِّ إِعْجَابٍ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَدَّخِرْ وَسْعًا فِي إِسْعَادِ
أُسْرَتِهِ: كَانَ يَقْضِي وَقْتَهُ كُلَّهُ مَعَ أَوْلَادِهِ وَزَوْجَتِهِ، فَلَا يُفَارِقُهُمْ إِلَّا لِضَرُورَةٍ قَاهِرَةٍ. لَا عَجَبَ
إِذَا نَعِمَتْ هَذِهِ الْأُسْرَةُ بِسَعَادَةٍ نَادِرَةٍ قَلَّمَا يَظْفَرُ بِهَا أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ.

(٣) مَرَضُ «عِكْرِشَةَ»

لَمْ يَكُنْ يَنْغُصُ عَلَيْهِمْ سَعَادَتَهُمْ، وَيُكَدِّرُ صَفْوَهُمْ، إِلَّا شَيْءٌ وَاحِدٌ، هُوَ مَرَضُ «عِكْرِشَةَ»: أَمَّ
الْأَرَانِبِ وَزَوْجَةِ «الْخَزْرِ».
كَانَتْ تَشْكُو السَّقَامَ وَلَا تَسْتَطِيعُ النُّهُوضَ.
اضْطُرَّ زَوْجُهَا النَّبِيلُ إِلَى تَعَهُدِ أَبْنَائِهِ، وَالسَّهْرِ عَلَى رَاحَتِهِمْ.

(٤) نَشَأَةُ «الْخُرْزُ»

كَانَ «الْخُرْزُ» قَدْ جَابَ الْبِلَادَ وَطَافَ بِهَا — فِي أَوَّلِ شَبَابِهِ — وَعَاشَرَ النَّاسَ، وَاکْتَسَبَ أَكْثَرَ مِيزَاتِهِمْ، وَجَمَعَ — إِلَى إِخْلَاصِهِ وَوَفَائِهِ — تَجَرِبَةً نَادِرَةً، وَثِقَافَةً وَاسِعَةً. عَرَفَ كَيْفَ يُنْشِئُ بَنِيهِ أَحْسَنَ تَنْشِئَةٍ، وَيُبَصِّرُهُمْ بِكُلِّ مَا يَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ فِي الْحَيَاةِ مِنْ فُنُونِ الْمَعْرِفَةِ وَأَنْوَاعِهَا. نَشَأَ «الْخُرْزُ» — مُنْذُ حَدَاتِهِ — فِي بَيْتِ زَارِعٍ يَعِيشُ فِي إِحْدَى الْقُرَى النَّائِيَةِ الْبَعِيدَةِ.

كَانَتْ حَفِيدَةُ الزَّارِعِ تُحِبُّهُ أَشَدَّ الْحُبِّ: لَا تَكَادُ تَفَارِقُهُ لِشِدَّةِ الْأُلْفَةِ وَالْحُبِّ وَالْإِنْسَانِ بَيْنَهُمَا.

هَرَبَ «الْخُرْزُ» مِنْ بَيْتِ الزَّارِعِ، حِينَ رَأَى رَبَّةَ الْبَيْتِ تَذْبُحُ أَحَدَ رِفَاقِهِ (أَصْحَابِهِ)، لِتَهْيِئِ لَزَوْجِهَا غَدَاءَهُ. لَمْ يُطِقِ الْبَقَاءَ فِي الْبَيْتِ — مُنْذُ ذَلِكَ الْيَوْمِ — وَهَجَرَهُ إِلَى حَيْثُ يَعِيشُ مَعَ أُسْرَتِهِ.

(٥) اللَّيْلَةُ الْقَمَرَاءُ

لَمَّا غَرَبَتِ الشَّمْسُ، اجْتَمَعَتِ الْأُسْرَةُ فِي مَكُونِهَا (جُحْرِهَا) قَالَ «الْخُرْزُ» لِأَبْنَائِهِ: «هَلْ أَنْتُمْ مُعِدُّونَ؟ فَإِنَّا عَلَى الرَّحِيلِ عَازِمُونَ.»

أَسْرَعَ «أَبُو نَبِيهِ» — وَهُوَ أَكْبَرُ أَبْنَاءِ «الْخُرْزِ» — إِلَى أُمِّهِ «عِكْرِشَةَ» لِيُودِّعَهَا قَبْلَ سَفَرِهِ. كَانَتْ مُمَدَّدَةً فِي رُكْنٍ مُنْزَوٍ مِنَ الْجُحْرِ، تُعَانِي آلَامَ الْمَرَضِ.

سَأَلَهَا مَحْزُونًا لِسِقَامِهَا: «كَيْفَ أَمْسَيْتِ، يَا أُمَّاهُ؟»

أَجَابَتْهُ: «لَا زِلْتُ أُعَانِي آلَامَ الْمَرَضِ. إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنَّ أُمَّمَ بِالْقِيَامِ، فَتَكَادُ سَاقَايَ لَا تَحْمِلَانِي لِضَعْفِهِمَا!»



زَهْرَةُ الْبَرْسِيمِ

قَالَتْ «زَهْرَةُ الْبَرْسِيمِ»: «كَلَّا. لَا تَقُولِي ذَلِكَ، يَا أُمًّا!»
 أَقْبَلَتْ عَلَى أُمِّهَا تُؤَسِّسُهَا (تُصَبِّرُهَا)، وَتُمِرُّ لِسَانَهَا عَلَى أُذُنَيْهَا — فِي حُنُوٍّ وَرَفَقٍ —
 وَتُسَرِّي (تُذَهِّبُ) عَنْهَا مَا تُكَابِدُهُ مِنْ أَلَمٍ، وَتُبَشِّرُهَا بِقُرْبِ شِفَائِهَا.
 رَأَى «الْخُزْرُ» أَنَّ الْوَقْتَ يَمُرُّ سَرِيعًا، فَصَاحَ فِي أَبْنَائِهِ أَمْرًا: «هَلُمُّوا أَيُّهَا الْأَبْنَاءُ. لَقَدْ
 أَرْسَلَ الْقَمَرُ — فِيمَا أَعْتَقَدُ — أَشْعَتَهُ الْفَاتِنَةَ عَلَى الدُّنْيَا. لَا بَدَّ أَنْ نَتَعَشَّى. لَا تَضِيعُوا وَقْتُكُمْ
 عَبَثًا. سَأُرِيكُمْ: أَيُّ حَقْلٍ مِنْ حُقُولِ الْبَرْسِيمِ قَدْ وَفَّقَتْ إِلَيْهِ فِي هَذِهِ الْمَرَّةِ؟ إِنَّهُ حَقْلٌ حَافِلٌ
 (مُحْتَشِدٌ مَمْلُوءٌ) بِذَلِكَ الطَّعَامِ الشَّهِيِّ، السَّائِغِ الْهَنِيِّ، الَّذِي يَتَحَلَّبُ رِيقَنَا (يَسِيلُ لِعَابَنَا)
 شَوْقًا إِلَيْهِ. لَا عَجَبَ فِي ذَلِكَ؛ فَهُوَ مِنْ لَذَائِدِ الْأَطْعِمَةِ الَّتِي تَصْبُو (تَمِيلُ) إِلَيْهَا نَفُوسُنَا.»



صَاحَ الْأَبْنَاءُ يُودِعُونَ أُمَّهُمْ — فِي جَزَعٍ وَأَسَفٍ — ثُمَّ خَرَجُوا مِنْ جُحْرِهِمْ، وَرَفَعُوا
 أَذَانَهُمْ وَأَذْنَابَهُمْ فِي الْهَوَاءِ، وَأَسْلَمُوا سَوْقَهُمْ لِلرَّيْحِ، سَاقًا بَعْدَ سَاقٍ، وَهُمْ يَقْفِرُونَ فِي رَشَاقَةٍ
 وَخِفَةٍ عَجِيبَتَيْنِ.

وَقَفُوا عَلَى مَسَافَةٍ قَرِيبَةٍ يَنْتَظِرُونَ مَقْدَمَ أَبِيهِمْ «الْخُزْرُ» لِيُرْشِدَهُمْ إِلَى طَرِيقِ الْحَقْلِ.
 كَانَ «الْخُزْرُ» — حِينئِذٍ — يُؤَسِّي (يُعَزِّي) زَوْجَتَهُ «عِكْرَشَةَ» الْمَرِيضَةَ، وَيُوصِّيَهَا
 بِالصَّبْرِ وَالتَّجَلُّدِ، وَيَتَمَنَّى لَهَا نَوْمًا هَادِئًا.

شَكَرَتْ لَهُ «عِكْرَشَةُ» ذَلِكَ الْعُطْفَ، وَتَمَنَّتْ لَهُ السَّلَامَةَ فِي رِحْلَتِهِ (سَفَرِهِ)، حَتَّى يَصِلَ
 إِلَى رِحْلَتِهِ (الْجَهَةِ الَّتِي يَقْصِدُهَا).

حَانَتْ مِنْ «الْخُزْرُ» النِّفَاقَةُ. رَأَى «زَهْرَةُ الْبَرْسِيمِ» لَا تَزَالُ بَاقِيَةً فِي الْجُحْرِ. قَالَ لَهَا:
 «مَا بِالْكَ لَمْ تَذْهَبِي مَعَ إِخْوَتِكَ؟ أَلَا تُحِبِّينَ أَنْ تُشْرِكِينَ فِي هَذِهِ الرِّحْلَةِ الْجَمِيلَةِ؟»

قَالَتْ «زَهْرَةُ الْبَرْسِيمِ»: «كَلَّا، يَا أَبَتِ. لَنْ أَتْرُكَ أُمِّي الْمَرِيضَةَ وَحِيدَةً فِي هَذَا الْجُحْرِ!»

قَالَ لَهَا «الْخُزْرُ»: «بَارَكَ اللَّهُ فِيكَ، يَا عَزِيزَتِي. إِنِّي مُكَافِئُكَ — عِنْدَ عَوْدَتِي — بِمَا
 يَسُرُّكَ. فَوَدَاعًا.»

فَاتِحَةُ الْقِصَّةِ

خَرَجَ «الْحُزْنُ». رَأَى أَبْنَاءَهُ يَنْتَظِرُونَ مَقْدَمَهُ عَلَى مَسَافَةٍ قَصِيرَةٍ مِنَ الْجُبْرِ. لَمَّا رَأَوْهُ مُقْبِلًا هَتَفُوا فَرِحِينَ. تَقَدَّمَ «الْحُزْنُ»، وَتَبِعَهُ بَنُوهُ. كَانُوا يَقْفِزُونَ فِي الْهَوَاءِ مَسْرُورِينَ.

الفصل الأول

(١) عَلَى الْحَشَائِشِ

قَالَتْ «عِزَّةُ» لِبَنَتِهَا «زَهْرَةُ الْبُرْسِيمِ»: «مَا بَالُكَ لَمْ تَذْهَبِي مَعَ إِخْوَتِكَ وَأَبِيكَ إِلَى حَقْلِ الْبُرْسِيمِ؟»

أَجَابَتْهَا حَانِيَّةُ (عَاطِفَةٌ) مُتَوَدِّدَةً: «كَلَّا يَا أُمَّاهُ. مَا أَنَا بِجَائِعَةٍ. وَلَسْتُ أُوَثِّرُ (لَا أَخْتَارُ) شَيْئًا فِي الدُّنْيَا عَلَى الْبَقَاءِ إِلَى جَانِبِ أُمِّي الْحَبِيبِ. هَلُمِّي (أَقْبِلِي). نَامِي عَلَى هَذِهِ الْحَشَائِشِ اللَّيِّنَةِ الرَّقِيقَةِ؛ لَعَلَّهَا تُخَفِّفُ شَيْئًا مِنْ أَوْجَاعِكَ، وَتَزِيلُ آلامَ سَاقِكَ.»

لَمْ تَتَرَدَّدْ «عِزَّةُ» فِي ذَلِكَ.

أَعَانَتْهَا «زَهْرَةُ الْبُرْسِيمِ». أَقَامَتْهَا حَتَّى أَجْلَسَتْهَا عَلَى الْحَشَائِشِ.

جَلَسَتْ إِلَى جَانِبِهَا صَامِتَةً (سَاكِتَةً).

(٢) حُبُّ الْقَصَصِ

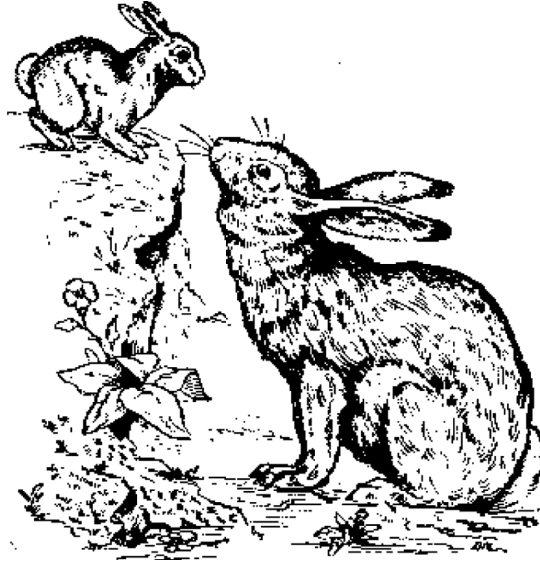
سَأَلَتْهَا «عِزَّةُ»: «فِيمَ تَفَكَّرِينَ يَا عَزِيزَتِي؟»

أَجَابَتْهَا «زَهْرَةُ الْبُرْسِيمِ»: «أَنْتِ أَدْرِي بِمَا يَشْغُلُنِي، يَا أُمَّاهُ. لَكِنَّكَ مَرِيضَةٌ مُتَعَبَةٌ.

لَيْسَ مِنَ الْبَرِّ بِكَ أَنْ أَزِيدَكَ تَعَبًا.»

قَالَتْ لَهَا «عِزَّةُ»: «آه. لَقَدْ عَرَفْتُ مَا تَطْلُبِينَ! أَلَسْتَ تُرِيدِينَهَا قِصَّةً؟»

قَالَتْ «زَهْرَةُ الْبُرْسِيمِ»: «لَمْ تَعْدِي (لَمْ تَتَجَاوَزِي) مَا فِي نَفْسِي، يَا أُمَّاهُ. لَيْسَ أَشْهَى إِلَيَّ مِنْ سَمَاعِ قِصَصِكَ الْمُعْجَبَةِ.»



قَالَتْ «عِكرْشَةُ»: «اجْلِسِي أَمَامَ نَاضِرِي لِأُمْتَعَ بِرُؤْيَيْكَ، وَيَبْهَجَ نَفْسِي جَمَالُ عَيْنَيْكَ الْبَرَّاقَتَيْنِ. إِنِّي قَاصَّةٌ عَلَيْكَ مَا وَقَعَ لِأَحَدٍ أَشَقَّاكَ، مُنْذُ زَمَنٍ بَعِيدٍ، لَا أَحْسَبُهُ يَقِلُّ عَنِ اثْنَيْ عَشَرَ شَهْرًا.»

(٣) الطُّفْلُ الصَّغِيرُ

أَنْصَتَتْ «زَهْرَةُ الْبُرْسِيمِ» (سَكَتَتْ مُسْتَمِعَةً) لِحَدِيثِهَا. أَزْهَقَتْ أُذُنَيْهَا لِسَمَاعِ الْقِصَّةِ. اسْتَأْنَفَتْ «عِكرْشَةُ» قَائِلَةً: «فِي مَسَاءِ يَوْمٍ مِنَ الْأَيَّامِ خَرَجْتُ وَمَعِيَ وَلَدِي «أَبُو نَبْهَانَ». لَعَلَّهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ أَخْرَجْتُهُ فِيهَا مِنَ الْجَحْرِ. ذَهَبْنَا إِلَى حَقْلٍ نَاءٍ (بَعِيدٍ) مِنْ حُقُولِ «السَّعْتَرِ». كَانَ «أَبُو نَبْهَانَ» — بِكْرُ أَوْلَادِي — مُدَلِّلاً (مَحْبُوبًا يَلَاطِفُ وَتَتْرَكَ لَهُ الْحُرِّيَّةُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ). كَانَ — إِلَى ذَلِكَ — عَنِيدًا شَادًّا. أَلَا تَفْهَمِينَ مَا أَغْنِيهِ؟ أَغْنِي: أَنَّهُ كَانَ يَسِيرُ وَفَوْقَ أَهْوَائِهِ، لَا يَعْمَلُ إِلَّا مَا يُرِيدُ. إِذَا عَنَتَ (خَطَرَتْ) لَهُ فِكْرَةُ خَاطِئَةٍ، لَمْ يَسْتَشِرْ أَحَدًا، وَلَمْ يَخْشَ كَائِنًا كَانَ، وَلَمْ يَبَالِ الْعَوَاقِبَ. إِذَا أَجْمَعَ إِخْوَانَهُ وَخُلَصَاؤُهُ (الْمُخْلِصُونَ لَهُ) عَلَى فَسَادِ خُطَّتِهِ، وَخَطِطِ طَرِيقَتِهِ، هَزَأَ بِهِمْ، وَسَخِرَ مِنْهُمْ، وَلَمْ يُصْغِ (لَمْ يَسْتَمِعْ) إِلَى نُصَحِهِمْ،

وَأَصَرَ عَلَى إِنْفَازِ مَا يُرِيدُ، فِي لَجَاجَةٍ وَإِلْحَاحٍ وَعِنَادٍ. جَرَّتْ عَلَيْهِ تِلْكَ الْحَمَاقَةُ أَشَدَّ النَّكَبَاتِ
«....»

(٤) فِي سَبِيلِ الطَّعَامِ

سَكَتَتْ «عُكْرُشَةُ». تَأَوَّهَتْ مِنْ أَوْجَاعِهَا. قَالَتْ: «آي! آي! سَاقِي الْيُمْنَى ... شَدَّ مَا تُؤْلِمُنِي
سَاقِي الْيُمْنَى! ... أَلَا تُسَاعِدِينِنِي عَلَى الْحَرَكَةِ لِأَضْطَجَعَ عَلَى جَنْبِي الْإَيْسَرِ؟»
لَبَّتْ «زَهْرَةُ الْبُرْسِيمِ» طَلِبَهَا. شَكَرَتْ لَهَا «عُكْرُشَةُ» صَنِيعَهَا، وَحَمَدَتْ مَعْرِفَهَا.
قَالَتْ لَهَا: «لَسْتُ أَذْكَرُ أَيْنَ انْتَهَيْتُ فِي تِلْكَ الْقِصَّةِ؟ آه ... ذَكَرْتُ الْآنَ كُلَّ شَيْءٍ ...
حَدَّثْتُكَ أَنَّ «أَبَا نَبْهَانَ» كَانَ غَرِيبَ الطَّبْعِ. لَمْ يَشَأِ الْبَقَاءَ مَعَنَا فِي حَقْلِ «السَّعْتَرِ»: يَقْضِمُ
مِنْهُ (يَكْسِرُ بِأَطْرَافِ أَسْنَانِهِ) مَا يَشْتَهِي، وَيَأْكُلُ مِنْ طَيِّبَاتِهِ كَمَا نَأْكُلُ. أَبِي إِلَّا أَنْ يَتَسَلَّلَ
(يَتَنَقَّلُ مُسْتَخْفِيًا) إِلَى حَيْثُ يَشَاءُ. ابْتَعَدَ عَنَّا بَعْدَ قَلِيلٍ. لَعَلَّهُ كَانَ يَبْحَثُ عَنْ طَعَامٍ آخَرَ.

(٥) صَرْخَةُ الْمُسْتَغِيثِ

إِنِّي لَأَقْضِمُ سَاقًا مُزْدَهَرَةً مِنَ النَّبَاتِ، إِذْ دَوَّتْ فِي أُذُنِي صَرْخَةُ مُزْعَجَةٍ. أَجَلْتُ بَصْرِي (دُرْتُ
بِعَيْنِي) فِي أَوْلَادِي لِأُحْصِيَهُمْ (لَأَعْدَهُمْ). لَمْ أَجِدْ بَيْنَهُمْ «أَبَا نَبْهَانَ». قَفَزْتُ عَادِيَّةً (جَارِيَّةً)
— يَمَنَّةً وَيَسْرَةً — وَأَنَا أُنَادِيهِ بِأَعْلَى صَوْتِي: «يَا أَبَا نَبْهَانَ! إِلَيَّ يَا أَبَا نَبْهَانَ».
سَمِعْتُهُ يَغُوثُ، طَالِبًا النَّجْدَةَ.

(٦) بَيْنَ مَخْلَبَيْنِ

أَغْرَزْتُ عَلَيَّ مَا لَقِيتَ مِنَ الْأَلَامِ، يَا «أَبَا نَبْهَانَ»!
أَتَعْرِفِينَ مَا رَأَيْتُ — حِينَنِي — يَا «زَهْرَةُ الْبُرْسِيمِ»؟
رَأَيْتُ مَا فَرَعْنِي وَهَالَنِي وَكَادَ قَلْبِي يَنْفَطِرُ لَهُ (يَنْشَقُّ): أَبْصَرْتُ وَلَدِي الْعَزِيزَ بَيْنَ
مَخْلَبَيْ سَبْعٍ مِنْ سَبَاعِ الطَّيْرِ (طَائِرٍ مِنْ أَكَلَةِ اللُّحُومِ) ... لَكَ اللَّهُ، يَا وَلَدِي. حَاوَلْتُ —
جُهِدَكَ — أَنْ تَقْلِتَ مِنْ مَخْلَبِيهِ، لَمْ تَسْتَطِعْ إِلَى ذَلِكَ سَبِيلًا.

كُنْتُ تَسْتَصْرِخُ أُمَّكَ الْحُنُونَ الْمُسْكِينَةَ، فَلَا تَقْدِرُ عَلَى إِنْقَادِكَ مِنْ بَرَاثِنِ الرَّدَى (أَصَابِعِ الْمَوْتِ)!

هَمَمْتُ — يَا «زَهْرَةُ الْبُرْسِيمِ» — أَنْ أُسْرِعَ لِنَجْدَتِهِ. لَكِنَّ سَاقِي لَمْ تَقْوِيَا. لَمْ أُسْتَطِعِ السَّيْرَ. انْتَضَمْتَنِي الرَّعْدَةُ (شَمَلَتَنِي الرَّعْشَةُ) سَرَتْ فِي جِسْمِي. تَفَكَّكْتَ أَوْصَالِي. لَمْ أَخْطُ — مِنْ مَكَانِي — خُطْوَةً وَاحِدَةً. وَقَفْتُ — حَيْثُ كُنْتُ — وَقَلْبِي يَكَادُ يَتَمَزَّقُ مِنَ الْأَلَمِ. دَنَتْ السَّاعَةُ الْمَرْهُوبَةُ الْهَائِلَةُ

(٧) دَمْعَةُ الْحُزْنِ

لَمَّا وَصَلَتْ «عَكْرِشَةُ» إِلَى هَذَا الْحَدِّ الْمُؤْتِرِ، هَاجَتْهَا الذُّكْرَى. وَقَفَتْ عَنِ الْكَلَامِ. كَفَفَتْ (مَسَحَتْ) بِيَدِهَا دَمْعَةً مُتَحَدِّرَةً عَلَى أَنْفِهَا.

أَقْبَلَتْ عَلَيْهَا «زَهْرَةُ الْبُرْسِيمِ» تُوَسِّيَهَا، وَتَقُولُ لَهَا: «كَفَى.. كَفَى، يَا أُمًّا!.. لَا تُتِمِّي هَذِهِ الْقِصَّةَ، مَا دَامَتْ تُثِيرُ أَشْجَانِكَ وَهُمُومَكَ.»

تَجَلَّدَتْ «عَكْرِشَةُ». قَالَتْ لِبِنْتِهَا مُتَأَسِّيَةً (مُتَعَزِّيَةً مُتَصَبِّرَةً): «إِنَّ قَضَاءَ اللَّهِ مُحْتَوَمٌ، لَا سَبِيلَ إِلَى دَفْعِهِ. إِنِّي مُنِمَّةٌ مَا بَدَأْتُهُ. أَنْصِتِي إِلَيَّ. أَذْكُرِي هَذَا الْحَدِيثَ طُولَ عُمْرِكَ. إِنَّ فِيهِ دَرْسًا نَافِعًا لَكَ، وَعِبْرَةً لِكُلِّ مَنْ يَعْتَبِرُ. السَّعِيدُ مَنْ وَعِظَ بَغَيْرِهِ (عَرَفَ الْعَوَاقِبَ وَتَذَكَّرَهَا بِمَا يَحْدُثُ لِسِوَاهُ)، وَالشَّقِيُّ مَنْ وَعِظَ بِنَفْسِهِ (عَرَفَ الْعَوَاقِبَ بِمَا يُصِيبُهُ مِنَ السُّوءِ وَالْأَذَى).»

(٨) مَصْرَعُ «أَبِي نَبْهَانَ»

سَكَتَتْ «عَكْرِشَةُ» لَحْظَةً. اسْتَأْنَفَتْ قَائِلَةً: «رَأَيْتُ لِهَذَا السَّبْعِ الْفَاتِكِ مِنْقَارًا أَعْقَفَ (مُتَوِيًّا) وَعَيْنَيْنِ وَاسِعَتَيْنِ مُسْتَدِيرَتَيْنِ. عَلِمْتُ أَنَّهُ عَدُونَا اللَّدُونُ: «أُمُّ الْخَرَابِ»!

رَأَيْتُ «أُمَّ الْخَرَابِ» — أَعْنِي: تِلْكَ الْبُومَةُ الْفَرَّاسَةُ الْعَادِيَّةُ (الظَّالِمَةُ) — تَرْتَفِعُ بِوَلَدِي فَجْأَةً. رَأَيْتُهَا تَضْرِبُهُ بِمِنْقَارِهَا الْحَادِّ ضَرْبَةً وَاحِدَةً فَتُخِمِدُ أَنْفَاسَهُ.

رَأَيْتُ «أَبَا نَبْهَانَ» يَكْفُفُ عَنْ صُرَاخِهِ: مَالَ رَأْسُهُ. تَخَلَّجَ ذَنْبُهُ (اضْطَرَبَ وَتَحَرَّكَ)! فَاضَتْ رُوحُهُ. أَصْبَحَ جُنَّةً هَامِدَةً.

أَمَسَكَتْ بِهِ «أُمُّ الْحَرَابِ» بَيْنَ مَخْلَبَيْهَا. فَتَحَتْ مِنْقَارَهَا الْهَائِلَ. ابْتَلَعَتْهُ. غَاصَ فِي جَوْفِهَا.»

(٩) حُزْنُ الْعَشِيرَةِ



اسْتَأْنَفْتُ «عِكْرَشَةَ»، قَائِلَةً: «ظَلَلْتُ أَبْكِى — بَيْنَ الْأَعْشَابِ — زَمَنًا طَوِيلًا، حَتَّى نَفَدْتُ دُمُوعِي (فَنَيْتُ). رَجَعْتُ إِلَى الْحَقْلِ مَحْزُونَةً كَاسِفَةَ الْبَالِ، تَغْشَانِي الْهُمُومُ. أَخْبَرْتُ عَشِيرَتِي

بِذَلِكَ الْحَادِثِ الْجَلِيلِ (الْعَظِيمِ). تَمَلَّكَ الْأَسْفُ قُلُوبَهُمْ. بَكَوْا لِمُصَابِي فِي عَزِيزِي الْحَبِيبِ:
«أَبِي نَبْهَانَ».

دَنَا مِنِّي عَمُّكَ الشَّيْخُ «أَبُو نَابِهٍ». ظَلَّ يُؤَسِّسِنِي. هُوَ — كَمَا تَعْلَمِينَ — شَيْخٌ مُجَرَّبٌ
بَصِيرٌ.»

(١٠) خُطْبَةُ «أَبِي نَابِهٍ»



وَقَفَ عَلَى سَاقَيْهِ، أَشَارَ بِيَدَيْهِ يَخْطُبُ الْأَرَانِبَ فِي فَصَاحَةٍ وَطَلَّاقَةٍ. كَانَ يَقُولُ:

عَزِيزَاتِي وَبَنَاتِي وَأَبْنَائِي:

إِنَّ قَلْبِي حَزِينٌ يَكَادُ يَنْفَطِرُ مِنَ الْأَسَى وَالْأَلَمِ. إِنَّ «أَبَا نَبْهَانَ» — وَهُوَ ابْنُ أَخِي الْعَزِيزُ — كَانَ مِثَالَ الذِّكَاةِ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ مِثَالَ الطَّاعَةِ. كَانَ — لَوْلَا عِنَادُهُ — وَاعِدًا (مَرْجُوًّا الْمُسْتَقْبَلِ). لَوْ عَاشَ لِأَصْبَحَ فَخَارَ أُسْرَتِنَا، وَمَنَاطَ رَجَائِنَا (مَعْقِدَ أَمَلِنَا الَّذِي نَتَعَلَّقُ بِهِ). لَكِنَّ الْقَضَاءَ عَاجَلُهُ. لَيْسَ لَنَا مِنْ حِيلَةٍ فِي رَدِّ عَادِيَةِ الرَّدَى وَدَفْعِ غَائِلَةِ الْمَوْتِ (هُجُومِهِ)؛ فَلَنَبْكِهِ مُتَرَحِّمِينَ عَلَيْهِ.

بَكَتْ أُسْرَةُ الْأَرَانِبِ مَصْرَعَ «أَبِي نَبْهَانَ» وَفَاجَعَتُهُ.
اسْتَأْنَفَ «أَبُو نَابِهٍ» قَائِلًا:

وَأَنْتُمْ يَا أَبْنَاءَ أَخِي، وَيَا بَنَاتِ شَقِيقِي الْعَزِيزِ:

أَلَمْ تَعْتَبِرُوا بِهَذَا الْمَصْرَعِ الْمُؤْلِمِ؟ أَرَأَيْتُمْ عَاقِبَةَ الْعِنَادِ، وَالْإِنْفِرَادِ بِالرَّأْيِ، وَاحْتِقَارِ نَصِيحَةِ النَّاصِحِينَ؟ فَلْيَكُنْ لَكُمْ فِي هَذَا الْمَصَابِ دَرْسٌ وَعِظَةٌ، وَلِتُعَاهِدُونِي — جَمِيعًا — عَلَى أَنْ تَكُونُوا مِثَالَ الطَّاعَةِ، وَأَنْ تَعِيشُوا كَمَا يَعِيشُ الْعُقْلَاءُ الْمُنْبَصَّرُونَ؛ حَتَّى تَأْمَنُوا مِثْلَ هَذِهِ الْخَاتِمَةِ الْمُفْرَعَةِ.

(١١) نَصِيحَةُ الْمُجَرَّبِينَ

كَانَ الْأَرَانِبُ الصَّغَارُ يُصْغُونَ (يَسْتَمْعُونَ) إِلَى كَلَامِ «أَبِي نَابِهٍ» وَيَنْصُتُونَ إِلَى نَصِيحَتِهِ، بِقُلُوبٍ وَاعِيَةٍ. أَرْهَفُوا أَذَانَهُمْ، فَلَمْ تَقْلُتْ مِنْهَا كَلِمَةً وَاحِدَةً، وَلَمْ يَتَحَرَّكْ أَحَدٌ مِنْهُمْ أَقْلًا حَرَكََةً.

قَالَ «أَبُو نَابِهٍ» مُسْتَأْنَفًا:

مَتَى حَلَلْتُمْ حَقْلًا مِنْ حُقُولِ الْكُرْنِبِ، فَلَا تَشْغَلَنَّكُمْ لَذَّةُ الطَّعَامِ عَنِ التَّبَصُّرِ وَالْيَقَظَةِ، وَلِتَرْهَفُوا أَسْمَاعَكُمْ حَتَّى لَا تَذْهَبَكُمْ «أُمُّ الصَّبَّيَانِ»: تِلْكَ الْبُومَةُ الْفَاتِكَةُ الْعَادِيَةُ (الظَّالِمَةُ) الَّتِي قَتَلَتْ شَقِيقَكُمْ. إِنَّهَا تَنْتَحِي الْفُرْصَ لِقَتْلِكُمْ، وَتَتَرَبَّصُ بِكُمْ الدَّوَابِرُ؛ وَهِيَ أَلَدُّ أَعْدَائِنَا.

إِذَا سَمِعْتُمْ صَوْتَهَا الْكَرِيهَ وَهِيَ تَصِيحُ «وُو — وُو!» فَاخْتَبِئُوا — مِنْ
فَوْرِكُمْ فَإِنَّهَا حَادَّةُ الْبَصَرِ وَالسَّمْعِ.

وَهِيَ تَرَى وَتَسْمَعُ كُلَّ شَيْءٍ، وَتَهْبِطُ عَلَيْنَا فَجَاءَتْ دُونَ أَنْ نَسْمَعَ لَهَا حَرَكَهَ،
وَتَقْتُلُنَا بِنَقْرَةٍ وَاحِدَةٍ مِنْ مَنَقَارِهَا الْحَادِّ الْأَعْقَفِ (الْمُنْحَنِ)، وَتَبْتَلِعُنَا دَفْعَةً
وَاحِدَةً: شَعْرًا وَلَحْمًا وَدَمًا وَعَظْمًا!

وَهِيَ تَقْتَنِصُنَا — مَعَشَرَ الْأَرَانِبِ — كَمَا تَقْتَنِصُ الْفِرَّانَ وَالْجِرْدَانَ وَبَنَاتِ
عَرِسٍ، وَغَيْرَ هَذِهِ الْأَنْوَاعِ مِنَ الْحَيَوَانِ.

وَطَرِيقُهَا أَنْ تَبْتَلِعَ الْفَرِيسَةَ مَرَّةً وَاحِدَةً، وَتَحْرُنَهَا فِي جَوْفِهَا حَتَّى يَتَمَّ
هَضْمُهَا، ثُمَّ تُلْقِي بِعِظَامِهَا وَفَرْوِهَا — أَوْ رِيَشِهَا — فِي الْعُشِّ؛ لِتَتَّخِذَ هَذِهِ
الْبُومَةُ مِنْهَا أَثَاثًا لِبَيْتِهَا، وَفِرَاشًا لَهَا وَلِبَنَاتِهَا.

(١٢) عِقَابُ الشَّرِّه



هُنَا بَدَا التَّعَبُ عَلَى أَسَارِيرِ خَطِيبِنَا (خُطُوطِ جَبِينِهِ). وَقَفَ عَنِ الْكَلَامِ لَحْظَةً. أَجَالَ بَصَرَهُ،
وَأَدَارَ عَيْنَيْهِ فِينَا. كُنَّا نَحِيطُ بِهِ مُنْصِتِينَ إِلَى نُصْجِهِ الثَّمِينِ وَسَطِ الْحَقْلِ. لَمَعَتْ عَيْنَاهُ فِي
ضَوْءِ الْقَمَرِ. بَدَا شَعْرُهُ الْأَبْيَضُ — حِينئذٍ — فَمَارَهُ (أَظْهَرَهُ) مِنَ الْأَرَانِبِ الرَّمَادِيَّةِ الْأُخْرَى.
اسْتَأْنَفَ عَمَّكَ قَائِلًا:

لِلْبُومَةِ — كَمَا لِأَمْثَالِهَا مِنَ الْجَوَارِحِ، أَغْنِي: سِبَاعَ الطَّيْرِ كَالصَّقْرِ وَالْحِدَاةِ —
مَنْقَارٌ مَعْقُوفٌ (شَدِيدُ الْإِنْجِنَاءِ). وَهُوَ — عَلَى قَصَرِهِ — غَلِيظٌ مَتِينٌ.
مَخَالِبُهَا — كَمَا حَدَّثَنَا النُّفَاتُ الْعَارِفُونَ — قَوِيَّةٌ قَابِضَةٌ مُنْحِنِيَّةٌ، تُنْشِبُهَا
(تُعَلِّقُهَا) فِي الْجُذُرَانِ وَغُصُونِ الشَّجَرِ.
مَتَى شَبِعَتِ الْبُومَةُ، نَامَتْ عَلَى غُصْنِهَا — حَيْثُ أَقَامَتْ عُشَّهَا — نَوْمًا
عَمِيقًا.

لَكِنْ لَا تَنْسُوا — يَا أَوْلَادِي — أَنَّ لِكُلِّ إِسَاءَةٍ عِقَابًا، وَأَنَّ جَزَاءَ الْبَغْيِ وَالظُّلْمِ
وَشِدَّةُ النَّهْمِ (الشَّرِّ فِي الْأَكْلِ)، لَا بُدَّ حَائِقٌ بِذَوِيهِ (مُحِيطٌ بِأَصْحَابِهِ)، عَاجِلًا أَوْ
أَجَلًا.

إِنَّ «أُمَّ الْخَرَابِ» مَا إِنْ تَسْتَيْقِظُ مِنْ سُبَاتِهَا الْعَمِيقِ (نَوْمِهَا الْمُسْتَعْرِقِ)،
حَتَّى تَنْتَابِهَا الْأَلَامُ وَالْأَوْجَاعُ فِي رَأْسِهَا وَمَعِدَتِهَا، كَمَا تَنْتَابُنَا إِذَا أَفْرَطْنَا فِي أَكْلِ
الْحَشَائِشِ الْمُبْتَلَّةِ، سَوَاءً بِسَوَاءٍ.
لَيْسَتْ تَخَفُ الْأَمُهَا حَتَّى تَلْفِظَ مِنْ جَوْفِهَا جِلْدَنَا وَعَظْمَنَا. فَإِذَا أَخْرَجَتْهُ
اسْتَسَلَمَتْ لِلنَّوْمِ مَرَّةً أُخْرَى.

الفصل الثاني

(١) خُطْبَةُ «الْخُزَيْزِ»

لَمَّا أَتَمَّ عَمُّكَ الشَّيْخُ «أَبُو نَابِهٍ» هَذِهِ الْخُطْبَةَ النَّفِيسَةَ، نَهَضَ فِي إِثْرِهِ خَالِكَ الْحَكِيمُ الشَّيْخُ: «الْخُزَيْزُ»؛ فَشَكَرَ لِذَلِكَ الْخَطِيبِ الْمُبْدِعِ نَصَائِحَهُ الثَّمِينَةَ. ثُمَّ قَالَ، بَعْدَ أَنْ أَتْنَى عَلَى خِطَابِهِ الرَّائِعِ:

أَيُّهَا الْأَهْلُ الْكَرَامُ:

إِنَّ مَصْرَعَ ابْنِ أُخْتِي الْعَزِيزِ: «أَبِي نَبْهَانَ» قَدْ عَزَّ عَلَيْنَا جَمِيعًا، فَاْمْتَلَأَتْ قُلُوبُنَا مِنْهُ حُزْنًا وَأَسْفًا. لَكِنَّ الْحُزْنَ وَالْأَسْفَ — كَمَا تَعْلَمُونَ — لَا يَنْفَعَانِ أَحَدًا. فَلَنَتَّخِذْ مِنْ مَصْرَعِهِ عِبْرَةً لَنَا وَمَوْعِظَةً؛ فَلَا نَعْرِضَنَّ أَنْفُسَنَا — مَرَّةً أُخْرَى — لِخَطَرِ هَذِهِ الْعَدُوِّ اللَّدُودِ الَّتِي فَتَكَتْ بِفَقِيدِنَا الْعَزِيزِ «أَبِي نَبْهَانَ»، وَلَا نَسْتَهِينَنَّ بِخَطَرِهَا وَقُوَّتِهَا، وَإِلَّا أَصَابَنَا مِثْلُ مَا أَصَابَ الْفَتَى الطَّائِشَ: أَبَا دِرْصَانَ.

(٢) الْعَجُوزُ الْقَاسِيَةُ

صَاحَ الْحَاضِرُونَ يَسْأَلُونَهُ: «وَمَا هِيَ قِصَّةُ أَبِي دِرْصَانَ؟»
قَالَ «الْخُزَيْزُ»:

أَيُّهَا الْأَعْرَاءُ!

عَلَى سَطْحِ جُرْنٍ عَالٍ، فِي حَقْلٍ مُنْبَسِطٍ فَسِيحٍ، عَاشَتِ الْعَجُوزُ الْقَاسِيَةُ، بَعْدَ أَنْ
اتَّخَذَتْ فِي ذُرْوَةِ الْجُرْنِ (أَعْلَاهُ) بَيْتًا تَأْوِي إِلَيْهِ مَعَ صَبْيَانِهَا الصَّغَارِ. أَتَعْرِفُونَ
مَنْ الْعَجُوزُ الْقَاسِيَةُ الَّتِي كَانَتْ تَأْوِي إِلَى بَيْتِهَا الْعَالِي فِي سَقْفِ الْجُرْنِ الَّذِي
يَحْزَنُ فِيهِ الزَّارِعُونَ مَا يَجْمَعُونَ مِنْ غَلَاتِ حُقُولِهِمْ؟
إِنَّهَا عَدَوْتُكُمْ اللَّدُودُ «أُمُّ الصَّبْيَانِ»: تِلْكَمُ الْبُومَةُ الَّتِي حَدَّثَكُمْ عَنْهَا عَمُّكُمْ
الشَّيْخُ الْمُجَرَّبُ: «أَبُو نَابِيهِ». تِلْكَمُ الْعَجُوزُ الْفَرَّاسَةُ الْفَتَاكَةُ الَّتِي لَا تَعْرِفُ الرَّحْمَةَ
إِلَى قَلْبِهَا سَبِيلًا.

(٣) طُرْطُورُ الْعَجُوزِ

هِيَ فِي حَجْمِ الْغُرَابِ. لَكِنَّهَا أَوْفَرُ دَمَامَةً (أَكْثَرُ قُبْحًا) وَأَعْنَفُ طَبْعًا، وَجِسْمُهَا مُنْقَطٌّ
بِالْبَيَاضِ.
اجْتَمَعَ الرِّيشُ فِي رَأْسِهَا. أَحَاطَ بِهِ. خَيَّلَ إِلَى رَائِيهَا أَنَّ طُرْطُورًا يَبْدُو عَلَى جَبِينِهَا.
أَطْلُتُ مِنْ خِلَالِ هَذَا الطُّرْطُورِ عَيْنَانِ صَفْرَاوَانِ، اسْتَدَارَتَا كَمَا تَسْتَدِيرُ الْحَلَقَتَانِ
الْوَاسِعَتَانِ، وَالتَّهَبَّتَا كَمَا يَلْتَهَبُ الْمِصْبَاحَانِ الْمُضِيئَانِ.

(٤) ضَوْءُ الْبُذْرِ

كَانَ الْبُذْرُ يَمْلَأُ الدُّنْيَا نُورًا فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ. كَانَ يُرْسَلُ ضَوْءُهُ الْوَهَّاجُ عَلَى الْحُقُولِ فَيُنِيرُهَا،
وَعَلَى الْأَشْجَارِ فَيَجُوسُ (يَتَخَلَّلُ) أَغْصَانَهَا الْعَارِيَّةَ، ثُمَّ يَنْفُذُ إِلَى الْأَرْضِ، فَيَبْدُدُ الظَّلَامَ
الْحَالِكَ.

(٥) «أَبُو دِرْصَانَ»

سَيِّدِي الْعَمِّ، سَيِّدَاتِي وَسَادَاتِي: بَنَاتِ نَبْهَانَ وَالْخُرَزَ:
رَوَيْتُ عَنْ أُمِّي، عَنْ أَبِيهَا، عَنْ جَدِّهَا: أَنَّ جُرْدًا (فَأْرًا) اسْمُهُ: «أَبُو دِرْصَانَ»،
كَانَ يَعْيشُ مَعَ وَالِدَتِهِ: «أُمُّ رَاشِدٍ» فِي جُحْرِ صَغِيرٍ اتَّخَذَاهُ مَسْكَنًا لَهُمَا فِي أَسْفَلِ
حَائِطِ هَذَا الْجُرْنِ الْكَبِيرِ الَّذِي حَدَّثْتُكُمْ بِهِ.

(٦) عُمَرُ الْبَدْرِ

كَانَتْ اللَّيْلَةُ لَيْلَةُ الْبَدْرِ — فِيمَا أَظُنُّ — أَعْنِي أَنَّ عُمَرَ الْقَمَرِ حِينَئِذٍ كَانَ أَرْبَعَ عَشْرَةَ لَيْلَةً.
أَوْ لَعَلَّهَا كَانَتْ لَيْلَةَ السَّوَاءِ. أَعْنِي أَنَّ عُمَرَ الْقَمَرِ كَانَ فِيهَا ثَلَاثَ عَشْرَةَ لَيْلَةً.

(٧) الْغِنَاءُ الْمُرْعَجُ

نَعَبَتِ الْبُومَةُ (صَوَّتَتْ) — عَلَى عَادَتِهَا كُلَّ لَيْلَةٍ — بِصَوْتِهَا الْقَبِيحِ؛ فَانْزَعَجَ — لِسَمَاعِ
نَعِيبِهَا — كُلُّ كَائِنٍ حَيٍّ. كَانَتْ تُسَمِّي صُرَاخَهَا الْقَبِيحَ: غِنَاءً، وَهِيَ تُصَوِّتُ نَاعِبَةً:

تُو — وَت — تُو — وَو
تُو — وَت — تُو — تُو
تُو — وَت — تُو — وَو

زَهْرَةُ الْبُرْسِيمِ

عَا — شُوا — مَا — تُوَا



لَمْ يَكُنْ فِي الدُّنْيَا أَحَدٌ يَطْرَبُ لِصَوْتِهَا الْقَبِيحِ غَيْرُهَا.

(٨) غَنِظُ «أَبِي دِرْصَانَ»

بَيْنَا هِيَ مُسْتَرْسَلَةٌ فِي نَعِيبِهَا، إِذْ أَطَلَّ «أَبُو دِرْصَانَ» مِنْ جُحْرِ الضَّيِّقِ. هُوَ فَتَى مِنْ
فَتَيَانِ الْجَرْدَانِ (الْفِيرَانِ). كَانَ سَلِيطًا (طَوِيلَ اللِّسَانِ سَيِّئَ الْكَلَامِ).
قَالَ لِلْبُوهَةِ (الْبُومَةِ) «أُمُّ الصَّبْيَانِ»: «أَيَّ صَوْتٍ مُزْعِجٍ تُرْسِلِينَ؟ أَمْرِيضَةٌ أَنْتِ؟ لِمَذَا
تَنْعَبِينَ؟»

تَغَاضَتْ عَنْهُ «أُمُّ الصَّبِيَّانِ» (أَعْرَضَتْ وَلَمْ تُبَالِ). تَرَفَّعَتْ عَنْ مُنَاقَشَتِهِ. أَغْمَضَتْ عَيْنَهَا عَنْهُ. كَانَتْ أَحْزَمَ وَأَكْيَسَ مِنْ أَنْ تُنَاقِشَ «أَبَا دِرْصَانَ»: ذَلِكَ الطِّفْلُ الطَّائِشُ السَّلِيلُ اللِّسَانِ.

تَأَلَّقَ ضَوْؤُ الْقَمَرِ؛ فَأَنَارَ عَلَيْهِمَا جَمِيعًا. ابْتَسَمَ لِلْكُونِ ابْتِسَامَتَهُ الْمُحِبُّوبَةَ. لَكِنَّهُ لَمْ يَكُنْ — فِيمَا أَعْلَمُ — يَأْبَهُ لَهُمَا (يَهْتَمُّ بِهِمَا)، أَوْ يُعْنَى بِأَمْرِهِمَا.

(٩) جَزَعُ «أُمِّ رَاشِدٍ»

قَفَزَ «أَبُو دِرْصَانَ» عَائِدًا إِلَى جُحْرِهِ. تَلَقَّيْتُهُ «أُمُّ رَاشِدٍ» مَذْعُورَةً. قَالَتْ لَهُ بِصَوْتٍ مُتَهَدِّجٍ (مُضْطَرِبٍ) يَكَادُ يَنْمِيزُ (يَنْقَطِعُ) مِنَ الْغَيْظِ: «أَيُّ كَلَامٍ هَذَا الَّذِي كُنْتَ تَوَجَّهُهُ الْآنَ، إِلَى الْيَوْمَةِ «أُمُّ الصَّبِيَّانِ»؟ أَلَمْ أُحَذِّرْ مِنْهَا مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ؟ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ: إِنَّهَا مِنْ سَبَاحِ الطَّيْرِ، وَإِنَّهَا فَرَّاسَةٌ، قَاسِيَةُ الْقَلْبِ، صَعْبَةُ الْمِرَاسِ (عَنِيفَةٌ فِي طَبْعِهَا وَمُعَامَلَتِهَا)، وَإِنَّ فَتَكَاتِهَا بِنَا — مَعَشَرَ الْجِرْذَانِ (الْفِيرَانِ) — قَاتِلَةٌ مُهْلِكَةٌ. أَلَمْ أُوصِكَ بِالِابْتِعَادِ عَنْهَا، وَالْفِرَارِ مِنْهَا، وَالْهَرَبِ مِنْ لِقَائِهَا، مَا وَجَدْتَ إِلَى ذَلِكَ سَبِيلًا؟ كَيْفَ نَسِيتَ نَصِيحَتِي، وَتَعَمَّدْتَ الْخُرُوجَ لِهَذَا الطَّائِرِ الْفَتَاكِ؟»

(١٠) جَوَابُ طَائِشٍ

قَالَ «أَبُو دِرْصَانَ»: «لَا تَتَمَادَي (لَا تَدُومِي وَلَا تَسْتَرْسِلِي) فِي غَضَبِكَ، يَا أُمًّا. مَا أَظُنُّنِي قَدْ فَعَلْتُ مَا أَسْتَحِقُّ عَلَيْهِ كُلَّ هَذَا اللَّوْمِ وَالتَّعْذِيرِ (الْمُؤَاخَذَةِ وَالتَّوْبِيخِ)». اِرْتَفَعَ صَوْتُهُ عَالِيًا، وَهُوَ يَقُولُ: «إِنَّمَا أَرَدْتُ أَنْ أَعْبَثَ (أَمْزَحَ وَالْهَوَى) بِهَا وَأَعَاكِسَهَا. لِمَ لَا؟ صَوْتُهَا — كَمَا تَسْمَعِينَ — مِنْ أَنْكَرِ الْأَصْوَاتِ وَأَقْبَحِهَا. أَيُّ حَرَجٍ عَلَيَّ إِذَا سَخَرْتُ مِنْهَا قَلِيلًا؟ وَدِدْتُ لَوْ سَمِعْتُهَا وَهِيَ تَتَعَبُ يَا أُمًّا! إِذَنْ لَمَا تَمَالَكْتَ مِنَ السُّخْرِيَةِ بِهَا. إِنَّ نَعِيبَهَا الْقَبِيحَ يُضْحِكُ الْقَطُّ!»

(١١) رَعِشَةُ الْخَوْفِ

صَرَحْتَ أُمُّهُ مُغْتَاطَةً: تَمَلَّكَهَا الْفَرْعُ وَالرُّعْبُ: «يُضْحِكُ الْقُطُّ؟ يَا لَكَ مِنْ غَبِيٍّ جَرِيٍّ! كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ فَمِكَ، أَيُّهَا الْأَبْلَةُ! أَيُّ حَادِثٍ دَهَاكَ فَأَقْفَدَكَ رَشَادَكَ فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ؟ أَيُّ خَبَالٍ اعْتَزَّاكَ، فَاغْدَفْتَ تَهْرَفُ (تَتَكَلَّمُ عَلَى غَيْرِ هُدًى) بِهَذَا الْهَذْيَانِ؟ طَالَمَا نَهَيْتُكَ عَنِ التَّغَامِي فِي أَمْثَالِ هَذَا الْهَرَاءِ (الْقَوْلِ الْبَاطِلِ)!

يُضْحِكُ الْقُطُّ؟ كَيْفَ جَرُوتَ عَلَى أَنْ تَذْكُرَ هَذَا الْإِسْمَ الْكَرِيهَ الْمُفْرَعُ؟ كَيْفَ سَاعَفَكَ لِسَانُكَ عَلَى النُّطْقِ بِهَذَا اللَّفْظِ الرَّاعِبِ؟

إِنَّ سَمَاعَ اسْمِ الْقُطِّ — وَحْدَهُ — لَيَكْفِي لِإِيذَائِي وَإِلْحَاقِ الْمَرَضِ بِي. وَيَحَكَ! لَقَدْ دَكَّرْتَنِي بِهَذَا السَّبْعِ الْفَرَّاسِ. مَلَأَتْ قَلْبِي فَرْعًا وَرُعْبًا.»

مَا أَتَمَّتْ قَوْلَهَا حَتَّى ارْتَعَدَ جِسْمُهَا مِنَ الْفَرْعِ. سَرَتْ الرُّعْشَةُ فِيهِ كُلُّهُ، فَاغْتَضَبَتْهُ (شَمِلَتْهُ) مِنْ أَعْلَى رَأْسِهِ إِلَى طَرَفِ ذَنْبِهِ الطَّوِيلِ.

(١٢) أَرَاءُ خَاطِئَةٍ

دَهَشَ «أَبُو دِرْصَانَ» مُتَضَجِّرًا. قَالَ فِي نَفْسِهِ: «يَا لَهَا مِنْ جَبَانَةٍ رَعْدِيَّةٍ (شَدِيدَةٍ الْخَوْفِ)!»

ثُمَّ لَفَّ جِسْمُهُ وَكَوَّرَهُ — قَبْلَ أَنْ تَأْخُذَهُ سِنَةٌ (غَفْوَةٌ) مِنَ النَّوْمِ — وَهُوَ يَقُولُ: «لَسْتُ أَشْكُ فِي أَنْ «أُمُّ الصَّبِيَّانِ» دَمِيمَةٌ (قَبِيحَةُ الصُّورَةِ). إِنَّهَا لَا تَسْتَطِيعُ أَنْ تُلْحَقَ بِي شَيْئًا مِنَ الْأَدَى.

إِنَّهَا بِلَهَاءِ نَوْمٍ (كَثِيرَةِ النَّوْمِ). لَيْسَ لَهَا مِنْ عَمَلٍ تَوَدِّيهِ — طَوْلَ وَقْتِهَا — سِوَى الْجُلُوسِ عَلَى رَأْسِ هَذِهِ الشَّجَرَةِ الْجَوْفَاءِ (الْفَارِغَةِ)، مُحْدَقَةً فِيهَا بِعَيْنَيْنِ لَا تَزَالِنِ تَطْرِفَانِ، وَلَا يَكْفُ عَنْ الرُّعْشَةِ هُدْبَاهُمَا (الشَّعْرُ الَّذِي يَنْبُتُ فِي أَطْرَافِ الْجَفْنَيْنِ).

لَسْتُ أَرْتَابُ (أَشْكُ) فِي أَنْبِي أَسْرَعُ مِنْهَا عَدْوًا (جَرِيًّا) وَأَوْفَرُ (أَكْثَرُ) نَشَاطًا. هَلْ فِي قُدْرَةِ هَذِهِ الْعُجُوزِ الْمِكْسَالِ (الشَّدِيدَةِ الْكَسَلِ) أَنْ تَسْبِقَنِي؟ كَلَّا، مَا أَظُنُّ ذَاكَ.

مَا أَحْسَبُ هَذِهِ الْهَرَمَةَ (الْكَبِيرَةَ السِّنِّ) إِلَّا عَاجِزَةً عَنِ الْحَرَكَةِ، بَلْهُ الْعَدُوِّ (فَضْلًا عَنِ السَّيْرِ السَّرِيعِ وَالْجَرِيِّ)!

(١٣) فِي عَالَمِ الْأَخْلَامِ

أَسْلَمَ عَيْنَيْهِ لِلْكَرَى (لِلنَّوْمِ). رَأَى — فِي مَنَامِهِ — حُلْمًا بِهِيَجًا، لَمْ يَرَ أَجْمَلَ مِنْهُ طَوَالَ حَيَاتِهِ: وَجَدَ نَفْسَهُ فِي مَخْرَزٍ حَافِلٍ بِأَشْهَى أَلْوَانِ الْأَطْعِمَةِ. رَأَى أَمَامَهُ أَكْدَاسًا مِنَ الشَّمْعِ وَالْجُبْنِ، وَهُوَ يَتَأَنَّى فِي الْمَضْغِ، وَيَتَذَوَّقُ مِنْ هَذَا الطَّعَامِ مَا لَدَّ وَطَابَ.

كَانَ بَابُ الْحُجْرَةِ مُغْلَقًا.

لَمْ تَسْتَطِعْ «أُمُّ الصَّبِيَّانِ» أَنْ تَنْفُذَ إِلَى «أَبِي دِرْصَانَ».

لَمْ تَقْدِرْ عَلَى تَنْغِيصِ زَادِهِ الشَّهِيِّ، وَمَأْكَلِهِ الْهَنِيِّ.

رَأَى — فِيمَا رَأَى — أَنَّ «أُمَّ الصَّبِيَّانِ» وَقَفَتْ خَارِجَ النَّافِذَةِ الصَّغِيرَةِ الَّتِي دَخَلَ مِنْهَا.

حَاوَلَتْ الدُّخُولَ فَلَمْ تَسْتَطِعْ لِضَخَامَةِ جِسْمِهَا: وَقَفَتْ مُتَأَلِّمَةً حَسْرَى (مُتَوَجِّعَةً مُتَحَسِّرَةً)، تُحَاوِلُ أَنْ تَشْرَكَهُ فِي شَيْءٍ مِنْ زَادِهِ، دُونَ أَنْ تَظْفَرَ مِنْهُ بِطَائِلٍ (بِفَائِدَةٍ).

(١٤) حُلْمُ الْجَائِعِ

رَأَاهَا تَتَوَسَّلُ إِلَيْهِ ضَارِعَةً أَنْ يُخْرِجَ لَهَا — مِنَ النَّافِذَةِ — وَلَوْ قِطْعَةً صَغِيرَةً مِنَ الْجُبْنِ. لَكِنَّ الْجُرْدَ لَمْ يُجِبْ لَهَا شَفَاعَةً وَلَا رَجَاءً. أَصَرَ عَلَى رَفْضِ مَا تَطْلُبُهُ فِي عِنَادٍ وَشِمَاتَةٍ.



مَا زَالَ الْجُرَذُ يُوَاصِلُ الْأَكْلَ مُتَأَنِّيًا (بَطِينًا)، وَلَا يَكْفُ عَنْ الطَّعَامِ إِلَّا لَحَظَاتٍ يَسِيرَةً،
يَتَفَكَّهُ فِي خِلَالِهَا بِمَدَاعِبَةِ «أُمِّ الصَّبِيَّانِ» وَالسُّخْرِيَةِ مِنْهَا.
كَانَ يَرَاهَا — فِي مَنَامِهِ — وَهِيَ تُلْحُحُ فِي الدُّخُولِ مِنَ النَّافِذَةِ الضَّيِّقَةِ فَلَا تَسْتَطِيعُ؛
فَتَتَمَثَّلُ لَهُ غِبَاوَتُهَا، وَيَتَحَيَّلُ أَنَّهَا بَلْهَاءٌ، حَقُّ بَلْهَاءٍ.

(١٥) فِي عَالَمِ الْيَقْظَةِ

اسْتَعْرَبَ (زَادَ فِي الضَّحِكِ وَأَكْثَرَ مِنْهُ). تَمَادَى فِي فَرْحِهِ وَابْتِهَاجِهِ بِمَا ظَفَرَ بِهِ مِنْ لَذَائِدِ
الْأَطْعِمَةِ، حَتَّى أَفَاقَ مِنْ نَوْمِهِ.
انْقَضَى حُلُمُهُ، وَاسْتَحْفَى — عَنْ نَاضِرِهِ — الْمَخْزَنُ الْحَافِلُ بِمَا يَحْوِيهِ مِنْ جُبْنٍ
شَهِيٍّ وَعَسَلٍ سَائِغٍ وَشَمْعٍ لَذِيذٍ!

وَاحْصَرْتَا عَلَيْهِ! كَانَ مَا رَأَاهُ أَضْغَاثَ أَحْلَامٍ (أَحْلَاطَهَا).

تَأَوَّهُ مَحْزُونًا وَقَالَ: «يَا لَهُ حُلْمًا رَائِعًا بِهِيجًا!»

أَطْبَقَ عَيْنَيْهِ ثَانِيَةً. حَاوَلَ أَنْ يَسْتَعِيدَ الْحُلْمَ الْجَمِيلَ مَرَّةً أُخْرَى. لَكِنْ كَيْفَ يَتَسَنَّى لِلْحَالِمِ أَنْ يَسْتَعِيدَ — بَعْدَ الْيَقَظَةِ — مَا كَانَ يَسْتَمْتِعُ بِهِ مِنْ جَمِيلِ الْأَحْلَامِ؟

(١٦) غُرُورُ الْحَمَاقَةِ

مَا لَبِثَ «أَبُو دِرْصَانَ» أَنْ اسْتَسْلَمَ لِلضَّحِكِ مَرَّةً أُخْرَى.

تَمَلَّكَتْهُ الْبُهْجَةُ مِمَّا ظَفَرَ بِهِ فِي نَوْمِهِ مِنَ السُّخْرِيَةِ بِأَمِّ الصَّبِيَّانِ، وَالضَّحِكِ مِنْ بَلَاهَتِهَا!

إِنَّهُ لَغَارِقٌ فِي هَذِهِ الذِّكْرِيَّاتِ السَّارَّةِ، إِذْ دَوَّتْ (ارْتَفَعَتْ) — فِي الْفَضَاءِ — صَيْحَاتُ «أُمِّ الصَّبِيَّانِ» وَهِيَ تَتَعَبُ (تَتَعَقُّ) بِأَعْلَى صَوْتِهَا الْقَبِيحِ. مَا إِنْ سَمِعَ نَعِيبَهَا (نَعِيقَهَا) حَتَّى اسْتَوَلَى عَلَيْهِ الضَّحْكُ مِمَّا سَمِعَ، وَقَالَ فِي نَفْسِهِ فَرْحَانٌ مَسْرُورًا: «لَيْتَ شَعْرِي (لَيْتَنِي أَشْعُرُ وَأَعْلَمُ)! هَلْ تَعْرِفُ هَذِهِ الْعُجُوزُ الْبُلْهَاءُ: أَيُّ صَوْتٍ مُنْكَرٍ سَخِيفٍ يَنْبَعِثُ مِنْ فِيهَا (فِمَهَا)؟

أَلَا لَيْتَهَا تَعْلَمُ كَمْ يُسَلِّينِي هَذَا السُّخْفُ مِنْهَا وَالْهَرَاءُ! لَعَلَّ مِنَ الْبِرِّ بِهَا، وَالْعَطْفِ عَلَيْهَا، أَنْ أَفْضِيَ إِلَيْهَا (أُخْبِرَهَا) بِهَذِهِ النَّصِيحَةِ الْغَالِيَةِ، وَأَنْ أُبَيِّنَ لَهَا حَقِيقَةَ أَمْرِهَا؛ حَتَّى يَتَأَكَّدَ لَهَا أَنَّ الْكَائِنَاتِ كُلَّهَا تُجْمَعُ عَلَى اسْتِهْجَانِهَا (كَرَاهِيَتِهَا) وَاسْتِنْكَارِ صَوْتِهَا. يَا صِدْقَ مَنْ سَمَاهَا: غُرَابَ اللَّيْلِ!»

(١٧) فِي خَارِجِ الْجُحْرِ

أَطَّلَ «أَبُو دِرْصَانَ» مِنْ جُحْرِهِ. أَبْصَرَ الْبُذْرَ لَا يَزَالُ يَتَأَلَّقُ (يُضِيءُ) فِي السَّمَاءِ، وَيَنْفُذُ نُورَهُ مِنْ خِلَالِ السُّحْبِ الْمُتْرَاكِمَةِ (الْمُتَجَمِّعَةِ) وَهِيَ تُسْرِعُ فِي جَرِّهَا، فَلَا تَكَادُ تَسْتَقِرُّ فِي الْفَضَاءِ. لَمْ يَرَ الْجُرْدَ أَثَرًا لِأَمِّ الصَّبِيَّانِ. ابْتَعَدَ عَنْ جُحْرِهِ قَلِيلًا. حَدَقَ بِبَصَرِهِ فِي الْجَوِّ. لَمْ يُبْصِرْ شَيْئًا يَخْشَاهُ.

كَانَتْ أُمُّهُ قَدْ خَرَجَتْ — فِي أَثْنَاءِ نَوْمِهِ — لِبَعْضِ شَأْنِهَا.

لَمْ يَجِدْ مَنْ يَرُدُّعُهُ وَيَكْفُهُ (يَرْجُرُهُ وَيَمْنَعُهُ) عَنِ الْمَخَاطَرَةِ.
فَرَحَ «أَبُو دِرْصَانَ» بِمَا ظَفَرَ بِهِ مِنَ الْحُرِّيَّةِ بَعْدَ أَنْ خَرَجَتْ أُمُّهُ مِنَ الْجَحْرِ وَابْتَهَجَ.
إِنَّهُ سَيَحَقِّقُ مَا يَهْوَاهُ، دُونَ أَنْ يَسْمَعَ مِنْهَا مَا يَكْرَهُهُ — مِنَ اللَّوْمِ — وَيَخْشَاهُ.

(١٨) مُغَامَرَةٌ حَمَقَاءَ

اسْتَوَلَى عَلَيْهِ الرَّهْمُ، وَتَمَادَى بِهِ الْغُرُورُ، حَتَّى أَنْسِيَاهُ حَقِيقَةَ أَمْرِهِ، وَخَيَّلَا إِلَيْهِ أَنْ يَصْعَدَ
إِلَى بَيْتِ «أُمِّ الصَّبَّيَّانِ»، لِيَنَامَ فِيهِ، وَيُعْلِنَ لَهَا سُخْرِيَّتَهُ بِهَا وَجْهًا لِيُوجِّهَ.
أَصْرَّ عَلَى تَنْفِيزِ مُخَاطَرَتِهِ. تَلَفَّتْ حَوْلَهُ. لَمْ يَجِدْ لِلْيَوْمَةِ الْعَجُوزِ أَثَرًا. قَالَ مُتَوَعِّدًا،
وَهُوَ يَكَادُ يَتَمَيَّزُ (يَتَقَطَّعُ) مِنَ الْغَيْظِ: «أَيْنَ أَنْتِ، يَا «غُرَابَ اللَّيْلِ»؟ أَيْنَ أَنْتِ، يَا «أُمِّ
الصَّبَّيَّانِ»؟ أَلَا لَيْتَهَا تَجِيءُ إِلَيَّ! أَمَا لَوْ جَاءَتْ وَوَقَعَتْ عَلَيْهَا عَيْنَايَ لَقُلْتُ لَهَا: أَيْنَ هِيَ الْهَرَمَةُ
الْعَجُوزُ»

(١٩) عَاقِبَةُ الطَّيِّشِ

لَمْ يَعْرِفْ أَحَدٌ مَاذَا كَانَ يُرِيدُ «أَبُو دِرْصَانَ» أَنْ يَقُولَهُ لِلْيَوْمَةِ: «أُمِّ الصَّبَّيَّانِ»؛ لِأَنَّهُ لَمْ
يَنْطِقْ بِهِ، وَلَمْ يُنِمَّ جُمْلَتَهُ إِلَى الْآنِ.
أَتَعْرِفُونَ لِمَاذَا؟ لِأَنَّ مَا حَدَرَتْهُ أُمُّهُ إِيَّاهُ قَدْ وَقَعَ: انْقِضَ (سَقَطَ) عَلَيْهِ فَجْأَةً جَنَاحَانِ
هَائِلَانِ، خَيَّلَا إِلَيْهِ أَنَّ جَبَلَيْنِ هَوِيَا عَلَى جِسْمِهِ الضَّعِيفِ.
أَحْسَسَ كَأَنَّ عَاصِفَةً جَارِفَةً اكْتَسَحَتْهُ فِي طَرِيقِهَا، وَسَهْمًا مَارِقًا (نَافِذًا) شَكَّهُ فَانْتَضَمَتْهُ
(شَمِلَتْهُ) فِي مِثْلِ لَمَحَةِ الْبُرْقِ الْخَاطِفَةِ.
أَنْشَبَتِ الْعَجُوزُ الْقَاسِيَةَ مَخَالِبَهَا الصُّلْبَةَ فِي جِسْمِهِ الْغَضِّ، فَلَقِيَ مَصْرَعُهُ. كَانَتْ «أُمِّ
رَاشِدٍ» بَعِيدَةً عَنْ وَلَدِهَا، فَلَمْ تَسْمَعْ صَرَخَاتِهِ الْحَزِينَةَ.
لَمْ يَكُنْ يَدُورُ بِخَلْدِهَا (لَمْ يَخْطُرْ بِبَالِهَا) هَذِهِ الْخَاتِمَةُ الرَّاعِبَةُ الَّتِي انْتَهَتْ بِهَا حَيَاةُ
وَلَدِهَا الطَّائِشِ الْمَغْرُورِ.

(٢٠) هَلْ عَلِمَ الْبَدْرُ؟

عَادَتْ «أُمُّ الصَّبِيَّانِ» بِفَرِيَسَتِهَا إِلَى عَشَّهَا، حَيْثُ يَأْوِي صَبِيَّتُهَا الثَّلَاثَةُ. ظَلَّ الْبَدْرُ يُرْسِلُ إِلَى الْكُونِ أَشْعَتَهُ الْمُتَالِفَةَ، وَيُشِيعُ ابْتِسَامَتَهُ الْعَذْبَةَ مِنْ خِلَالِ غُصُونِ الشَّجَرِ.
لَسْتُ أَدْرِي: هَلْ عَلِمَ الْبَدْرُ الْمُنِيرُ شَيْئًا مِنْ تَفَاصِيلِ هَذِهِ الْمَأْسَاةِ؟ هَلْ شَهِدَ مَصْرَعَ «أَبِي دِرْصَانَ»؟ هَلْ أَصْغَى إِلَى أَنَّاتِهِ الْحَزِينَةِ وَهُوَ يُحْتَضِرُ؟ مَا أَظُنُّ هَذَا، أَيُّهَا الْأَهْلُ الْكَرَامُ!

إِنِّي لَعَلَى يَقِينٍ مِنْ أَنَّ صَاحِبَنَا الْبَدْرَ الْمُنِيرَ، لَوْ عَلِمَ بِمَصْرَعِ «أَبِي دِرْصَانَ»، دُونَ أَنْ يَحْزَنَ لَهُ وَيَكْفَ عَنْ ابْتِسَامَتِهِ الَّتِي لَا تَفَارِقُ صَفْحَتَهُ، لَكَانَ قَاسِي الْقَلْبِ.
لَكِنَّ الْقَمَرَ — كَمَا تَعْلَمُونَ — بَعِيدٌ عَنْ عَالَمِنَا الْأَرْضِيِّ.
لَسْتُ أَدْرِي كَيْفَ يَتَسَنَّى لَهُ — وَهُوَ بَعِيدٌ عَنَّا — أَنْ يَعْلَمَ حَقِيقَةَ هَذِهِ الْمَأْسَاةِ؟ تَرَى هَلْ يَعْلَمُ أَحَدٌ مِنْكُمْ غَيْرَ هَذَا؟

(٢١) خُطْبَةُ «الْخَرْنِقِ»

قَامَ أَرْنَبُ ذِكْيٍ فَتَيٍّ (صَغِيرٌ قَوِيٌّ) اسْمُهُ «الْخَرْنِقُ».
خَطَبَ الْحَاضِرِينَ قَائِلًا: «لَعَلَّ الْبَدْرَ كَانَ مَشْغُولًا — كَمَا عَهْدَنَاهُ دَائِمًا — بِإِنَارَةِ الطَّرِيقِ لِلْسَّارِينَ (الَّذِينَ يَمْشُونَ بِاللَّيْلِ)؛ لِيَهْدِيَهُمْ سَوَاءَ السَّبِيلِ، لِلْوُصُولِ إِلَى غَايَاتِهِمُ الَّتِي يَرْجُونَهَا.

مَا أَظُنُّ الْبَدْرَ يَلْتَفِتُ إِلَى مَنْ يَعْصِي كَلَامَ أُمِّهِ، وَيَسْتَهِينُ بِنَصَائِحِهَا الْعَالِيَةِ. كَلَّا. مَا أَحْسَبُهُ يُعْنَى بِمَنْ لَا يَنْتَفِعُ بِتَجَارِبِ غَيْرِهِ مِنْ كِرَامِ النَّاصِحِينَ.

(٢٢) ثَمَنُ الْعِنَادِ

لَوْ عَرَفَ «أَبُو دِرْصَانَ» كَيْفَ يَسْتَفِيدُ مِنَ النُّورِ، لَتَجَنَّبَ الْوُقُوعَ فِي الْهَوَايَةِ، وَنَجَا مِنَ التَّعَرُّضِ لِلتَّهْلُكَةِ.

زَهْرَةُ الْبَرِّسِيمِ

مَا كَانَ لِلْبَدْرِ أَنْ يُضِيعَ وَقْتَهُ الثَّمِينِ فِي الْبُكَاءِ عَلَى مِثْلِ «أَبِي دِرْصَانَ» الَّذِي لَمْ يَرْحَمْ
نَفْسَهُ، وَأَبَى إِلَّا أَنْ يُضِيعَ حَيَاتَهُ بِغُرُورِهِ وَجَهْلِهِ، وَتَمَادِيهِ فِي عِنَادِهِ، وَاسْتِهَانَتِهِ بِخَطَرِ
عَدُوِّهِ الْبَاطِشِ الْغَلَابِ.»

الفصل الثالث

(١) رائد الحقل

لَمَّا أَتَمَّ «الْخَرْنِقُ» كَلِمَتَهُ، وَقَفَ عُمُكِ الذِّكْرِيَّ «رَائِدُ الْحَقْلِ» الَّذِي طَالَمَا كَشَفَ لَنَا لَدَائِدَ مَنْ
يَمَارِ الْحُقُولِ الْقَاصِيَةَ وَالْدَّانِيَةَ.
رَوَى لَنَا قِصَّةً مُعْجِبَةً فَيَاضَةً بِالْمَوْعِظَةِ وَالْحِكْمَةِ.
مَا أَذْكَرُ أَنْبِي سَمِعْتُ — فِي حَيَاتِي — قِصَّةً أَجْمَلَ مِنْهَا.
لَوْ سَمِعَهَا وَلَدِي «أَبُو نَبْهَانَ» لَكَفَّ عَنْ عِنَادِهِ وَلَجَاجَتِهِ، وَلَمْ يَتِمَّادَ فِي ضَلَالِهِ
وَعَوَايَتِهِ.
لَكِنْ أَمَرَ اللَّهُ نَافِذُ، وَلَا رَادَّ لِقَضَائِهِ.

(٢) الطائِعُ وَالطَّامِعُ

قَالَ «رَائِدُ الْحَقْلِ»:

أَيُّهَا الْأَهْلُ الْكَرَامِ:

عَاشَ فِي قَدِيمِ الزَّمَانِ، أَرْبَعَانِ فُتَيَّانِ (صَغِيرَانِ قَوِيَّانِ)، اسْمُ أَحَدِهِمَا: «الْقَانِعُ»،
وَلَقَبُهُ: «الطَّائِعُ» (الْلَقَبُ هُوَ الْكَلِمَةُ الَّتِي يُنَادِيهِ بِهَا عَارِفُوهُ، لِأَنَّهَا تَصِفُهُ).
وَاسْمُ الْآخَرِ: «الْمَانِعُ»، وَلَقَبُهُ: «الطَّامِعُ».
كَانَ الْأَوَّلُ يُطِيعُ أُمَّهُ وَيَسْتَمِعُ إِلَى نُصْحِهَا وَلَا يُخَالِفُ لَهَا قَوْلًا.

كَانَ يَقْنَعُ مِنَ الزَّادِ (الطَّعَامِ) بِالْقَلِيلِ. لَمْ يَكُنْ جَمِيلَ الشَّكْلِ؛ لَكِنَّهُ طَيِّبُ
الْقَلْبِ. أَمَّا الْأَخْرُ فَكَانَ — عَلَى الْعَكْسِ مِنْ أَخِيهِ — لَا يُطِيعُ لِأُمِّهِ نُصْحًا، وَلَا
يَقْبَلُ لَهَا رَأْيًا، كَمَا كَانَ شَدِيدَ الْحِرْصِ وَالطَّمَعِ، لَا يَقْنَعُ بِقَلِيلٍ وَلَا كَثِيرٍ.

(٣) نَصِيحَةُ الْأُمِّ

وَذَا صَبَاحٍ فَرَعَ الزَّادُ مِنْ جُحْرِ أُمِّهِمَا، فَقَالَتْ لَوْلَدَيْهَا: «إِنِّي ذَاهِبَةٌ لِإِحْضَارِ الطَّعَامِ لَكُمَا.
لَنْ أَغِيبَ عَنْكُمَا إِلَّا قَلِيلًا. نَظَّمْتُ لَكُمَا — بَعْدَ عَوْدَتِي — نَزْهَةً جَمِيلَةً، لَا تَبْتَعِدَا كَثِيرًا عَنْ
جُحْرِكُمَا حَتَّى لَا يُصِيبَكُمَا ضَرَرٌ».

فِي أَثْنَاءِ غِيَابِهَا لَعَبًا بِالْقُرْبِ مِنْ مَكْوِهِمَا (دَارِهِمَا) وَقَتًا قَصِيرًا.
لَكِنَّ «الطَّامِعَ» أَصَرَ عَلَى الْإِبْتِعَادِ عَنِ الدَّارِ.
حَاوَلَ «الطَّامِعُ» أَنْ يَذْكُرَهُ نَصِيحَةُ أُمِّهِ، وَيُحَذِّرَهُ الْإِنْفِرَادَ بِرَأْيِهِ. قَالَ لَهُ «الطَّامِعُ»:
«لَنْ نَذْهَبَ بَعِيدًا. تَعَالَ مَعِي. لَنْ نُخَالَفَ نُصْحَ أُمَّنَا أَبَدًا!»

(٤) مِشْنَةُ الْحَسِّ

ظَلَّ يُحَادِثُ أَخَاهُ وَيَقْصُ عَلَيْهِ أَجْمَلَ الْقَصَصِ — وَهُمَا سَائِرَانِ — حَتَّى ابْتَعَدَا عَنْ
مَكْوِهِمَا مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرَانِ.

تَنَبَّهَ «الطَّامِعُ» إِلَى مُخَاطَرَةِ أَخِيهِ. قَالَ لَهُ خَائِفًا مُفْرَعًا: «بَعْدُنَا عَنِ الْمَكْوِ (الْبَيْتِ)؛
فَلْنُسْرِعْ بِالْعُودَةِ حَتَّى لَا تَفْرَعَ أُمِّي، إِذَا عَادَتْ إِلَى مَكُونَا (دَارِنَا) فَلَمْ تَجِدْنَا».



قَالَ «الطَّامِعُ»: «كَلَّا. لَا تَخَفْ. سَنَبُلُغُ الْمَكُودَ قَبْلَ أَنْ تَعُودَ إِلَيْهِ أَمَّا بِزَمَنِ طَوِيلٍ. أَلَا تَرَى مَكُونًا (جُحْرَنَا) غَيْرَ بَعِيدٍ مِنَّا؟ لِمَاذَا تَجَزَّعُ (تَخَافُ)؟ أَمَّا زَمَنُ طَوِيلٍ نَقْضِيهِ فِي اللَّعِبِ وَالسُّرُورِ. انْظُرْ إِلَى ذَلِكَ الْخَسِّ. مَا أَجْمَلُهُ وَأَشْهَاهُ! إِنِّي لَأَذُوبُ شَوْقًا إِلَى تَذَوُّقِهِ وَأَكْلِهِ.»

كَانَ الْخَسُّ فِي مِشْنَةِ تَرَكَهَا صَاحِبُهَا فِي الطَّرِيقِ، رَيْثَمَا يَبِيعُ شَيْئًا مِنْهُ لِطَبَّاحٍ يَبِيتُ قَرِيبَ.

أَسْرَعَ «الطَّامِعُ». أَقْبَلَ عَلَى أَكْلِ الْخَسِّ فِي شَرِّهِ عَجِيبٍ.

(٥) جَزَاءُ عَادِلٍ

صَرَخَ فِيهِ «الْقَانِعُ»: «مَاذَا تَفْعَلُ؟ لَوْ رَأَيْتَكَ أُمَّكَ لَقَالَتْ عَنْكَ: سَارِقُ!»
 انْتَفَتَ إِلَيْهِ «الطَّامِعُ». كَانَ قَدْ أَتَى عَلَى الْحَسَةِ الْأُولَى (أَتَمَّ أَكْلَهَا)، وَأَقْبَلَ عَلَى التَّهَامِ
 الْحَسَةِ الثَّانِيَةِ. قَالَ: «أُمِّي لَمْ تُحْضِرْ لَنَا خَسًا شَهِيًّا كَهَذَا مِنْ قَبْلُ؟»
 مَا إِنَّ أَتَمَّ «الطَّامِعُ» قَوْلَتَهُ (جُمَلَتَهُ)، حَتَّى طَوَّحَتْ بِجِسْمِهِ رُفْسَةً عَنِيفَةً، دَحَرَجَتْهُ
 كَالْكُرَةِ.



دَوَّتْ فِي أُذُنِهِ صَيْحَةً غَضَبٍ، تَقُولُ مُتَوَعِّدَةً (مُنْذِرَةً مُخَوِّفَةً): «أَيُّهَا الْأَرْزَبُ اللَّصُّ، مَا
 أَجْدَرَكَ بِأَنْ تَذْبَحَ، وَتُسَلِّخَ، وَيُطْبَخَ لَحْمُكَ!»

(٦) هَرَبُ الْأَخَوَيْنِ

لَعَلَّكُمْ عَرَفْتُمْ مَاذَا حَدَّثَ؟

نَعَمْ! حَرَجَ صَاحِبُ الْحَسِّ مِنَ الْبَيْتِ.

أَبْصَرَ هَذَا الشَّيْءَ (الْحَرِيسَ عَلَى الْإِكْتَارِ مِنَ الْأَكْلِ) وَهُوَ يَسْرِقُ حَسَّهُ. غَضِبَ وَأَسْرَعَ بِهِمْ بِمَعَاقِبَتِهِ.

هَرَبَ الْأَرْزَبَانِ. ظَلَا يَعْدُوَانِ (يَجْرِيَانِ) وَلَا يَكْفَانِ عَنِ الْوُثْبِ وَالْقَفْزِ، مَا وَسَعَهُمَا جُهْدَاهُمَا.

لَمْ يُصِبِ «الطَّامِعُ» بِضَرْبٍ كَبِيرٍ. لَكِنَّ الْخَوْفَ كَادَ يَقْتُلُهُ.

سَمِعَ الْأَرْزَبَانِ، وَهُمَا يَهْرُبَانِ، صَاحِبَ الْحَسِّ يَتَوَعَّدُ السَّارِقَ بِأَعْلَى صَوْتِهِ، قَائِلًا: «أَيُّهَا اللَّصُّ، مَا أَجْدَرَكَ بِالذَّبْحِ وَالسَّلْخِ وَالطَّبْخِ!»

(٧) نَبَاتٌ غَرِيبٌ

مَا زَالَ الْأَرْزَبَانِ يَقْفِزَانِ حَتَّى انْتَهَيَا إِلَى حَقْلٍ مُخَصَّرٍ النَّبَاتِ. كَانَ الْوُثْبُ قَدْ جَهَدَهُمَا (أَتَعَبَهُمَا) حَتَّى ضَاقَتْ أَنْفَاسُهُمَا، فَكَادَا يَخْتَنِقَانِ.

قَالَ «الطَّامِعُ» وَهُوَ يَرْتَعِدُ خَوْفًا: «تُرَى أَيْنَ بَيْنُنَا الْآنَ؟»

أَجَابَهُ «الطَّامِعُ»: «لَعَلَّهُ قَرِيبٌ مِنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ. سَنَبْلُغُهُ نَوًّا (فِي الْحَالِ). لَا تَنْزَعْجْ. لِنَسْتَرِحْ هُنَا قَلِيلًا حَتَّى يَخَفَّ أَلَمُ الرَّفْسَةِ، وَيَذْهَبَ أَثَرُهَا. أَنْظُرْ. مَا أَبْهَجَ هَذَا الْحَقْلُ!»
قَالَ «الطَّامِعُ»: «صَدَقْتَ. مَا أَغْرَبَ نَبَاتُهُ. مَا أَذْكَرُ أَنْبِي رَأَيْتُ نَبَاتًا مِثْلَهُ طُولَ حَيَاتِي!»

قَالَ «الطَّامِعُ»: «أَنْتَ لَا تَعْرِفُهُ. أَمَّا أَنَا فَخَبِيرٌ بِهِ. إِنَّهُ نَبَاتُ الْبَقْدُونِسِ. أَمَا لَوْ دُنِيتَ هَذَا النَّبَاتَ اللَّذِي لَشَكَّرْتَ لِي أَنْ هَدَيْتُكَ إِلَيْهِ. تَعَالَ فَكُلْ مِنْهُ. أَنَا لَمْ أَر — فِيمَا رَأَيْتُ — مِثْلَهُ فِي الْأَزْدِهَارِ وَالنُّضْجِ وَالنَّمَاءِ. تَعَالَ مَعِيَ نَتَذَوَّقُ مِنْهُ شَيْئًا.»

قَالَ «الطَّامِعُ»: «كَلَّا. لَسْتُ فِي حَاجَةٍ إِلَيْهِ. لَسْتُ وَاثِقًا — يَا أَخِي — أَنَّهُ نَبَاتُ الْبَقْدُونِسِ الَّذِي تَطْنُ. مِنَ الْخَطِئِ أَنْ نَأْكُلَ طَعَامًا لَمْ تَأْذَنْ لَنَا أُمْنًا فِي أَكْلِهِ.»
ثُمَّ هَزَّ أُنْبِيهِ الطَّوِيلَتَيْنِ مَحْزُونًا، وَقَالَ: «خَيْرٌ لَنَا أَنْ نَعُودَ إِلَى الْبَيْتِ.»

قَالَ «الطَّامِعُ»: «الْحَقُّ مَا تَقُولُ. لَكِنْ يُؤَسِّفُنِي أَنْ يَفُوتَكَ هَذَا الطَّعَامُ السَّائِغُ الشَّهِيَّ (الطَّيِّبُ الْهَبِيَّ). أَهْ لَوْ تَدَوَّقْتَهُ مَعِيَ!»

(٨) مَرَضُ «الطَّامِعِ»

بَلَّغَا الدَّارَ. رَأَيَا أُمَّهُمَا قَادِمَةً عَلَيْهِمَا.
قَالَ «الطَّامِعُ»: «أَقْبَلْتُ أُمَّنَا. هَلُمَّ (أَقْبِلْ) لِتَحِيَّتِنَا.»
أَجَابَهُ «الطَّامِعُ» بِصَوْتٍ خَافِتٍ: «اذهَبْ أَنْتِ. إِنِّي مُتَعَبٌ قَلِيلًا. مَا أَحْوجُنِي إِلَى الرَّاحَةِ.»

قَالَ «الطَّامِعُ»: «إِنَّ الْمَرَضَ لَيَبْدُو وَاضِحًا عَلَى سَيِّمَاتِكَ (مَنْظَرِكَ)، هَلْ تَشْعُرُ بِهِ؟»
قَالَ لَهُ أَخُوهُ مُنْزَعَجًا: «كَلَّا، لَسْتُ مَرِيضًا. إِنَّ الْأَرْنَبَ قَدْ يَنْعَبُ، دُونَ أَنْ يَكُونَ مَرِيضًا! أَلَا يُمْكِنُ ذَلِكَ، يَا أَخِي؟ لَا تَقُلْ لِأُمِّي: إِنَّنِي مَرِيضٌ!»
لَمْ يُجِبْهُ «الطَّامِعُ» بِشَيْءٍ، بَلْ ذَهَبَ إِلَى لِقَاءِ أُمِّهِ. بَقِيَ أَخُوهُ يَتَلَوَّى مُتَدَحِّرًا مِنْ شِدَّةِ الْأَلَمِ فِي رُكْنٍ مِنْ أَرْكَانِ الْجُحْرِ.
تَعَاوَنَ «الطَّامِعُ» مَعَ أُمِّهِ فِي حَلِّ حُرْمَةٍ مِنْ لَذِيذِ الطَّعَامِ أَحْضَرَتْهَا الْأُمُّ لِيَنْعَمَ بِأَكْلِهَا وَلَدَاهَا الْعَزِيزَانِ.

أَقْبَلَ «الطَّامِعُ» عَلَى هَذَا الطَّعَامِ الَّذِي يُحِبُّهُ حُبًّا جَمًّا (كَثِيرًا).
أَكَلَ مِنْهُ نَصِيبَهُ شَاكِرًا مَسْرُورًا.
حَاوَلَ «الطَّامِعُ» أَنْ يَأْكُلَ. لَمْ يَسْتَطِعْ. أَحْسَسَ الْمَرَضُ: سَخَنَ حَتَّى كَادَ رَأْسُهُ يَحْتَرِقُ.
انْتَبَظَ الْأَلَمُ جِسْمَهُ (شَمَلَهُ) كُلَّهُ. فَاضَ بِهِ الْأَلَمُ. لَمْ يُطِقْ احْتِمَالَهُ بَعْدَ هَذَا.
إِرْتَمَى عَلَى الْأَرْضِ مُتَقَلِّبًا صَارِحًا مِنْ قَسْوَةِ الْمَرَضِ.

(٩) النَّبَاتُ السَّامُّ

قَالَتْ أُمُّهُ مَحْزُونَةً مَشْدُوهَةً (مَذْهُوشَةً): «أَيُّ حَادِثٍ أَصَابَكَ، يَا وَلَدِي؟»
أَجَابَهَا: «إِنِّي أَشْعُرُ بِالْأَلَمِ هُنَا — يَا أُمَاهُ — وَهُنَا!.. إِنِّي أُحِسُّ كَأَنَّ وَحْشًا ضَارِيًا (مُفْتَرِسًا) يَعْضُنِي وَيَمْرِقُ أَحْشَائِي! آه. آه. آه!»

قَالَتْ لَهُ: «مَاذَا صَنَعْتَ فِي أَثْنَاءِ غِيَابِي؟ هَلْ أَكَلْتَ شَيْئًا! خَبِّرْنِي بِحَالِيهِ أَمْرِكَ (بِحَقِيقَتِهِ)».

إِصْفَرَ وَجْهُ «الطَّائِعِ». قَالَ: «ذَهَبْنَا إِلَى حَقْلِ الْبَقْدُونِسِ». صَاحَ «الطَّائِعُ»: «إِنَّ «الطَّائِعِ» لَمْ يَأْكُلْ مِنْهُ شَيْئًا، يَا أُمًّا! كَلَّا لَمْ يَأْكُلْ مِنْهُ قَطُّ. أَمَّا أَنَا فَأَكَلْتُ كَثِيرًا! أِهْ! أَيُّ أَلَمٍ أَحْسُ! الْغَوْثُ يَا أُمًّا. أَغِيثِنِي! الْعَوْنُ يَا أُمًّا، أَغِيثِنِي!» قَالَتْ أُمُّهُ: «نَبَاتُ الْبَقْدُونِسِ! أَوَاتِقُ أَنْتَ مِنْ أَنَّهُ نَبَاتُ الْبَقْدُونِسِ؟» قَالَ «الطَّائِعُ»: «مَا أَظُنُّ ذَلِكَ، يَا أُمِّي. كَانَ قَرِيبَ الشَّجَرِ مِنْهُ. قُلْتُ لِأَخِي: إِنَّهُ نَبَاتٌ آخَرُ. شَمِمْتُ لَهُ رَائِحَةً غَيْرَ رَائِحَةِ الْبَقْدُونِسِ!» صَرَخَتْ الْأُمُّ مَذْعُورَةً: «يَا لَتَعَاسَةٍ هَذَا الْفَتَى الصَّغِيرِ! أَكَلَتْ نَبَاتَ الشُّوْكَرَانِ، وَهُوَ يَحْسَبُهُ نَبَاتَ الْبَقْدُونِسِ! يَا لَشَقَاوَتِهِ! إِنَّهُ سَمٌّ قَاتِلٌ! رَبَّاهُ! كَيْفَ أَصْنَعُ؟ وَارْحَمْتَاهُ لَكَ، يَا وَلَدَاهُ! أَسْرِعْ — يَا «طَّائِعُ». اسْتَدْعِ لَهُ الطَّبِيبَ!»

(١٠) آخِرَةُ «الطَّائِعِ»

كَادَ «الطَّائِعُ» يَغِيبُ عَنِ الْوُجُودِ مِنْ شِدَّةِ الْأَلَمِ. ارْتَمَى بِلَا حِرَاكَ فِي رُكْنٍ مِنْ أَرْكَانِ الْجُحْرِ. كَانَتْ تَنْبُعُثُ مِنْهُ — بَيْنَ حِينٍ وَآخَرَ — أَنَّهُ خَافَتُهُ، أَوْ حَرَكَتُهُ رِجْلٍ، أَوْ خَلَجُهُ أُذُنٍ خَفِيفَةً.

ظَلَّتْ أُمُّهُ الْمَحْزُونَةُ وَاقِفَةً بِالْقُرْبِ مِنْهُ، تُحَاوِلُ أَنْ تُخَفِّفَ مِنَ أَلَمِهِ دُونَ جَدْوَى (بِلَا فَائِدَةٍ)، وَتَتَرَقَّبُ حُضُورَ الطَّبِيبِ بِفَارِغِ الصَّبْرِ.



لَمْ يَسْتَطِعِ «الطَّامِعُ» أَنْ يَنْطِقَ — بَعْدَ هَذَا — إِلَّا مَرَّةً وَاحِدَةً. قَالَ بِصَوْتٍ خَافِيَةٍ مُتَأَوِّهَاً، وَهُوَ يُحْتَضِرُ (حِينَ حَضَرَهُ الْمَوْتُ): «أَيُّ أَلَمٍ أَحْسَنُهُ؟ الْغَوْتُ يَا أُمَاهُ!»

ثُمَّ أَدْرَكَهُ مَيِّتُهُ (مَوْتُهُ)؛ فَهَمَدَتْ جُنَّتَهُ (أَصْبَحَتْ بِلاَ حَرَكَ)، وَسَكَتَتْ نَأْمَتُهُ (سَكَتَ صَوْتُهُ).

صَاحَتْ أُمُّهُ مُنْفَجَّةً: «وَاحِرَ قَلْبَاهُ! مَاتَ الطَّامِعُ!»

الفصل الرابع

(١) أَلَمُ الْجُوعِ

قَالَتْ «عِكْرَشَةُ» لِبِنْتِهَا «زَهْرَةُ الْبُرْسِيمِ»: «هَذِهِ — يَا عَزِيزَتِي — هِيَ الْخُطْبُ النَّفِيسَةُ الَّتِي أَبْدَعَهَا خُطْبَاءُ الْحَفْلِ. فِيهَا — كَمَا تَرَيْنَ — نَصَائِحُ غَالِيَةٌ، يَجْدُرُ بِكُلِّ أَرْنبٍ مُتَبَصِّرٍ أَنْ يَتَدَبَّرَهَا وَيَتَوَخَّأَهَا، وَيَعْمَلَ بِهَا وَلَا يَنْسَاهَا.»

أَطْرَقَتْ «عِكْرَشَةُ» لَحْظَةً. بَدَتْ عَلَى وَجْهِهَا أَمَارَاتُ الْكَأَبَةِ (الْحُزْنِ) وَالْقَلَقِ.

سَأَلَتْهَا «زَهْرَةُ الْبُرْسِيمِ»: «فِيمَ تُفَكِّرِينَ يَا أُمَاهُ؟»

قَالَتْ: «أَخْشَى أَنْ يَكُونَ قَدْ حَدَثَ لِأَبِيكَ وَإِخْوَتِكَ حَدِثٌ فِي أَثْنَاءِ الطَّرِيقِ. الرَّأْيُ عِنْدِي أَنْ تَلْبِثِي (تَمْكُثِي) فِي مَكَانِكَ سَاعَةً حَتَّى أَخْرُجَ وَأَعُودَ. طَالَتْ غَيْبُهُمْ. سَأَرَى: فِي أَيِّ الْأَوْقَاتِ نَحْنُ الْآنَ؟ لَعَلَّ نُهْوضِي يُخَفِّفُ قَلِيلًا مِنْ أَوْجَاعِ سَاقِي.»

فَقَفَزَتْ «عِكْرَشَةُ» فِي جَهْدٍ وَعَنَاءٍ. وَصَلَتْ إِلَى حَافَةِ الْجُحْرِ. أَخْرَجَتْ أَنْفَهَا تَتَنَسَّمُ الْهَوَاءَ.

عَادَتْ إِلَى «زَهْرَةِ الْبُرْسِيمِ» قَائِلَةً: «إِنَّ النَّهَارَ وَشَيْكَ الطَّلُوعِ (قَرِيبُ الظُّهُورِ). مَرَّ بِنَا الْوَقْتُ سَرِيعًا. نَحْنُ لَامِيَانِ بِقِصِّ الْحِكَايَاتِ. اشْتَدَّ بِي الْجُوعُ. أَصْبَحْتُ لَا أَطِيقُ الْبَقَاءَ بِلَا طَعَامٍ. هَلْ تُحْسِنِينَ مِثْلَ مَا أُحْسِنُ مِنْ آلَامِ الْجُوعِ؟»

قَالَتْ «زَهْرَةُ الْبُرْسِيمِ»: «إِنَّ بِي مِثْلَ مَا بِكَ. لَكِنِّي لَمْ أَشَأْ أَنْ أَسِيقَ أُمِّي بِالْقَوْلِ فِي

هَذَا.»

قَالَتْ «عِكْرَشَةُ» وَهِيَ تُحَاوِلُ أَنْ تَظْفَرَ بِنَبَاتٍ تَقْضُمُهُ (تَكْسِرُهُ بِأَطْرَافِ أَسْنَانِهَا وَتَأْكُلُهُ): «إِذَنْ فَلْنَقْضِمُ أَيَّ شَيْءٍ نَلْقَاهُ؛ لِنَبْطِلَ فِي فَمِنَا، وَتَظَلَّ أَسْنَانُنَا تَلْوَكُهُ زَمَنًا طَوِيلًا لِنَنْسِيَ آلَمَ الْجُوعِ، وَلِنَلْفِظُهُ بَعْدَ ذَلِكَ. لَعَلَّنَا نَظْفِرُ — بَعْدَ — بِمَا نَحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنَ الطَّعَامِ.» قَالَتْ «زَهْرَةُ الْبُرْسِيمِ»: «رَأَيْتُ — أَمْسَ — بَعْضَ الْحَشَائِشِ الْجَمِيلَةِ عَلَى مَسَافَةٍ قَرِيبَةٍ لَا تَزِيدُ عَلَى عَشْرِ قَفْزَاتٍ مِنْ جُحْرِنَا. هَلْ تَسْتَطِيعِينَ أَنْ تَقْفِزِي مَعِي حَتَّى نَصِلَ إِلَيْهَا؟»

قَالَتْ «عِكْرَشَةُ»: «سَاحَاوِلُ إِمْكَانِي، يَا عَزِيزَتِي. هَلُمِّي بِنَا.»

(٢) فِي الْغَابَةِ

نَهَضَتْ «عِكْرَشَةُ» مُتَثَاوِلَةً. وَصَلَتْ إِلَى فُوهَةِ الْجُحْرِ (فَمِهِ). وَقَفَتْ لَحْظَةً مَفْكَرَةً مُنْصَتَّةً، شَأْنُ الْأَرَابِ الرَّشِيدَةِ الْمُتَبَصِّرَةِ. أَخْرَجَتْ فَاهَا (فَمَهَا) قَلِيلًا، ثُمَّ أَعَادَتْهُ مِنْ فُورِهَا. صَبَرَتْ قَلِيلًا. أَخْرَجَتْ فَاهَا ثَانِيَةً — بَعْدَ أَنْ اطْمَأَنَّ قَلْبُهَا — وَأَدَارَتْهُ يَمَنَةً وَيَسْرَةً، وَهِيَ تُحِيلُ بَصَرَهَا (تُدِيرُ نَظَرَهَا) فِي كُلِّ نَاحِيَةٍ.

وَوَقَّتْ مِنَ السَّلَامَةِ. خَرَجَتْ مِنْ جُحْرِهَا.

سَارَتْ «زَهْرَةُ الْبُرْسِيمِ» فِي أَثَرِهَا.

قَفَزَتْ «عِكْرَشَةُ» قَفْزَاتٍ قَلِيلَةً. خَارَتْ قُوَاهَا (ضَعُفَتْ). عَجَزَتْ عَنْ مُتَابَعَةِ السَّيْرِ. وَقَفَتْ مُتَأَلِّمَةً. قَالَتْ مَحْزُونَةً لِبِنْتِهَا «زَهْرَةُ الْبُرْسِيمِ»: «جَهَدْنِي الْمَرَضُ. اشْتَدَّ بِي النَّقْرُسُ (وَجَعُ الْمَفَاصِلِ). أَعْجَزَنِي عَنِ الْمَشْيِ. لَا بَدَّ لِي مِنَ الرَّاحَةِ — زَمَنًا قَلِيلًا — حَتَّى أَسْتَعِيدَ نَشَاطِي، وَأَسْتَرِدَّ قُوَّتِي عَلَى السَّيْرِ. اذْهَبِي أَنْتِ. إِنِّي لَاحِقَةٌ بِكَ بَعْدَ قَلِيلٍ.»

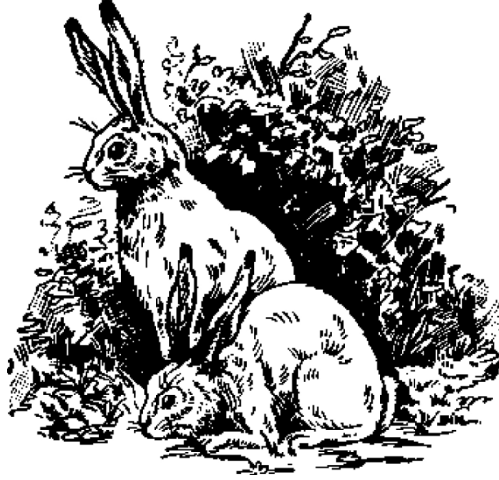
قَالَتْ «زَهْرَةُ الْبُرْسِيمِ»: «كَلَّا، يَا أُمِّي. لَيْسَ ثَمَّةَ مَا يُعْجِلُنَا. اسْتَرِيحِي كَمَا تَشَآئِينَ. ثُمَّ سِيرِي الْهُوَيْنَى (امْشِي عَلَى مَهْلٍ) وَلَا تَتَعَجَّلِي.»

شَكَرَتْ «عِكْرَشَةُ» لِبِنْتِهَا حُبَّهَا وَأَدَبَهَا.

إِسْتَأْنَفَتَا السَّيْرَ (بَدَأَتَا الْمَشْيَ بَعْدَ الْوُقُوفِ). وَصَلَتَا إِلَى الْغَابَةِ.

قَالَتْ «عِكْرَشَةُ» وَهِيَ تَقْضِمُ الْحَشَائِشَ الْيَابِسَةَ (تَكْسِرُهَا بِأَطْرَافِ أَسْنَانِهَا، وَتَأْكُلُهَا): «مَا أَلَذَّ هَذَا الْبَقْلَ وَأَشْهَاءُ!»

سَأَلْتُهَا «زَهْرَةُ الْبُرْسِيمِ» وَقَدْ اسْتَسَاعَتْهُ (اسْتَعَذَّبَتْهُ وَاسْتَحَلَّتْ أَكْلَهُ)، وَأَقْبَلَتْ تَقْضُمُهُ فِي ابْتِهَاجٍ وَفَرَحٍ: «مَا اسْمُ هَذَا الْبَقْلِ الشَّهِيِّ، يَا أُمَاهُ؟»
قَالَتْ «عِكْرِشَةُ»: «اسْمُهُ: الْهَنْدَبَاءُ. هُوَ — فِيمَا سَمِعْتُ مِنْ جَدِّي — خَيْرُ دَوَاءٍ يَشْفِي الْمَعْدَةَ مِنْ أَمْرَاضِهَا وَالْأَمْعَا. صَدَقَ جَدِّي. إِنِّي كُلَّمَا أَكَلْتُ هَنْدَبَاءً وَاحِدَةً مِنْ هَذَا الْهَنْدَبَاءِ الْكَثِيرِ، شَعَرْتُ بِنَشَاطٍ عَجِيبٍ. يُخَيِّلُ إِلَيَّ أَنَّنِي رَجَعْتُ إِلَى شَبَابِي الْآنَ.»



ابْتَهَجَتْ «زَهْرَةُ الْبُرْسِيمِ». اسْتَوَلَى عَلَيْهَا الْفَرَحُ. قَفَزَتْ حَوْلَ أُمِّهَا مِنْ فَرَطِ السُّرُورِ وَهِيَ تَقُولُ: «يَا لَسَعَادَتِي وَهَنَاتِي! كُونِي عَلَى ثِقَةٍ أَنَّكَ عَلَى وَشِكِ الشِّفَاءِ (أَنَّ الْبُرَّءَ قَرِيبٌ مِنْكَ، سَرِيعٌ إِلَيْكَ)، مَا دُمْتُ تَشْعُرِينَ بِلَذَّةِ الطَّعَامِ، وَتُقِيلِينَ عَلَيْهِ بِمِثْلِ هَذِهِ الشَّهِيَّةِ الْعَجِيبَةِ.»

(٣) «ابْنُ وَازِعٍ»

لَكِنَّ فَرَحَهَا لَمْ يَطُلْ. حَدَثَ مَا لَمْ يَكُنْ فِي الْحِسْبَانِ.
كَفَّتْ «عِكْرِشَةُ» عَنِ الطَّعَامِ. وَقَفَّتْ عَلَى قَدَمَيْهَا. رَفَعَتْ أذُنَيْهَا الطَّوِيلَتَيْنِ. صَرَبَتْ الْأَرْضَ بِرِجْلَيْهَا بَغْتَةً.

زَهْرَةُ الْبُرْسِيمِ

اسْتَوَلَى عَلَيْهَا الرُّعْبُ. صَاحَتْ مَذْعُورَةً: «انْجِي بِنَفْسِكَ، يَا صَغِيرَتِي. آه ... أَسْرِعِي
بِالْفِرَارِ ... إِنَّهُ «ابْنُ وَاِزَعٍ» بَعَيْنِهِ.. رَبَّاهُ ... هَلَكْنَا جَمِيعًا»
لَمْ تَكُنْ «زَهْرَةُ الْبُرْسِيمِ» قَدْ رَأَتْ — فِي حَيَاتِهَا — كَلْبًا قَبْلَ هَذِهِ الْمَرَّةِ. اتَّيَقَنْتَ أَنَّ
ذَلِكَ — بِلَا شَكٍّ — عَدُوٌّ خَطِرٌ شَرِيرٌ. لَوْلَا ذَلِكَ لَمَا فَرَعَتْ أُمُّهَا لِرُؤُوسِيتِهِ.
صَاحَتْ «عِكْرِشَةً» مَرَّةً أُخْرَى: «إِلَى الْجُحْرِ ... إِلَى الْجُحْرِ، يَا عَزِيزَتِي. لَا تُعْنِي
بِأَمْرِي ... أَسْرِعِي، يَا صَغِيرَتِي. إِنِّي أَسْمَعُ نُبَاحَ «ابْنِ وَاِزَعٍ» الْخَبِيثِ ... أَظُنُّهُ يَقْتَرِبُ ...
أَسْرِعِي! ... أَسْرِعِي!»
قَالَتْ «زَهْرَةُ الْبُرْسِيمِ»: «كَلَّا، لَا سَبِيلَ إِلَى تَرْكِكِ وَحِيدَةً. هَلُمَّيْ مَعِي، يَا أُمِّي الْعَزِيزَةَ.
اعْتَمِدِي عَلَيَّ هَكَذَا ... تَشَجَّعِي، يَا أُمَاهُ. إِنَّ الْجُحْرَ مِنَّا قَرِيبٌ.»
جَاءَ الْكَلْبُ نَابِحًا عَادِيًا (مُسْرِعًا فِي الْجُزْيِ) فِي مِثْلِ سُرْعَةِ الرِّيحِ.
أَسْرَعَتْ «عِكْرِشَةً» فِي سَبِيلِهَا، عَلَى قَدْرِ طَاقَتِهَا. لَكِنَّ «زَهْرَةَ الْبُرْسِيمِ» تَوَسَّلَتْ إِلَيْهَا
أَنَّ تَضَاعَفَ مِنْ سُرْعَتِهَا.



قَالَتْ لَهَا وَهِيَ تُشَجِّعُهَا: «هَلُمَّي ... أَسْرِعِي، يَا أُمَّاهُ. لَمْ يَبْقَ عَلَيْنَا إِلَّا قَفْزَتَانِ ... وَصَلْنَا. شُكْرًا لِلَّهِ عَلَى نَجَاتِنَا مِنْ ذَلِكَ الْخَطَرِ الدَّاهِمِ.»

(٤) بَعْدَ الْعَوْدَةِ

كَانَ الْجُهْدُ وَالْإِعْيَاءُ (التَّعَبُ وَالْكَلالُ) قَدْ أَضْنَيَا «عِكْرِشَةَ» (جَهْدَاهَا وَهَزَلَا جِسْمَهَا). ارْتَمَتْ فِي جُحْرِهَا خَائِرَةُ الْقُوَى. بَقِيَتْ سَاكِئَةً لَا حِرَاكَ بِهَا. جَزَعَتْ «زَهْرَةُ الْبِرْسِيمِ». اشْتَدَّ خَوْفُهَا عَلَى أُمِّهَا. حَسِبَتْهَا مَاتَتْ. صَاخَتْ مَذْعُورَةً: «أُمِّي! ... أُمِّي!»

زَهْرَةُ الْبُرْسِيمِ

فَتَحَتِ «عِكْرِشَةُ» الْمَرِيضَةَ عَيْنَيْهَا. اطمأنتَ عَلَيْهَا «زَهْرَةُ الْبُرْسِيمِ». أَسْرَعَتْ إِلَيْهَا تَلَحُّسُ جِسْمِهَا مُتَوَدِّدَةً مُتَلَطِّفَةً.
لَمْ تَلْبَثْ «عِكْرِشَةُ» أَنْ اسْتَعَادَتْ قُوَّتَهَا، وَرَجَعَتْ نَشَاطَهَا.

(٥) مُطَارَدَةُ الْكِلَابِ

سَأَلَتْهَا «زَهْرَةُ الْبُرْسِيمِ»: «أَيُّ عَدَاءٍ وَخُصُومَةٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْكِلَابِ؟ مَا بَالُهَا تُطَارِدُنَا عَلَى غَيْرِ جَرِيرَةٍ (دُونِ ذَنْبٍ، وَبِلَا جَرِيْمَةٍ) أَسْلَفْنَاها، وَلَا إِسَاءَةٍ قَدَّمْنَاها؟»
قَالَتْ «عِكْرِشَةُ»: «إِنِّي قَاصَّةٌ عَلَيْكَ — يَا عَزِيزَتِي — سَبَبَ مُطَارَدَةِ الْكِلَابِ إِيَّانَا. أَلَا تَعْرِفِينَ النَّاسَ؟

لَقَدْ أَرَيْتُكَ وَاحِدًا مِنْهُمْ فِي بَعْضِ الْأَيَّامِ السَّالِفَةِ.
مَا أَحْسَبُكَ نَسِيتَ ذَلِكَ الْعُمَلَقَ (الطَّوِيلَ جِدًّا) الَّذِي يَمْشِي مُسْتَوِيًّا عَلَى سَاقَيْنِ، كَمَا يَمْشِي الْأَرَنْبُ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَتَطَرَّفَ فِي مَشْيَيْتِهِ.
حَدَّثَنِي أَبُوكَ أَحَادِيثَ طَرِيفَةً عَنِ الرِّجَالِ وَالْكِلابِ. لَقَدْ عَاشَ مَعَهُمْ وَمَكَّثَ بَيْنَ ظَهْرَانِيهِمْ — كَمَا أَخْبَرْتُكَ — رَدْحًا مِنَ الزَّمَنِ (وَقْتًُا طَوِيلًا).

(٦) لَحْمُ الْأَرَنْبِ

عَلِمْتُ مِنْهُ مَا لَمْ أَكُنْ أَعْلَمُ. هَلْ تَعْرِفِينَ مَاذَا يَطْعَمُ النَّاسُ؟»
قَالَتْ «زَهْرَةُ الْبُرْسِيمِ»: «لَعَلَّهُمْ يَأْكُلُونَ الشَّعِيرَ، وَالسَّعْتَرِ، وَالْبُرْسِيمَ، وَمَا إِلَيْهَا مِنْ حَشَائِشِ الْأَرْضِ!»
قَالَتْ «عِكْرِشَةُ»: «كَلَّا، يَا عَزِيزَتِي! النَّاسُ لَا يَأْكُلُونَ الْحَشَائِشَ الَّتِي نَأْكُلُهَا. لَكِنَّهُمْ يَطْعَمُونَ لَحُومَ الْحَيَوَانِ.
تَأْكُدُ لِي — مِمَّا قَالَه أَبُوكَ «الْحَزْرُ» — أَنَّ لَحْمَ الْأَرَنْبِ هُوَ أَفْخَرُ طَعَامٍ عِنْدَهُمْ. أَلَمْ أَحَدِّثْكَ أَنَّ أَبَاكَ «الْحَزْرَ» هَرَبَ مِنْ بَيْتِ زَارِعٍ؛ لِأَنَّهُ رَأَى أَرَنْبًا مَذْبُوحًا؟»
قَالَتْ «زَهْرَةُ الْبُرْسِيمِ»: «ذَكَرْتُ الْآنَ ذَلِكَ الْحَدِيثَ الْغَرِيبَ!»

(٧) كَلْبُ الصَّيِّدِ

اسْتَأْنَفْتُ «عَكْرِشَةَ» قَائِلَةً: «لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْ هَؤُلَاءِ الْعَمَالِقَةِ (الطَّوَالِ جِدًّا) سَاقَانِ طَوِيلَتَانِ. لَكِنَّهُمْ — عَلَى سَوْقِهِمُ الطَّوِيلَةَ — لَا يَسْتَطِيعُونَ الْجَرْيَ فِي مِثْلِ خِفَّتِنَا. لَوْ اقْتَصَرَ الْأَمْرُ عَلَى ذَلِكَ، لَعَشْنَا وَادِعَيْنَ آمِنِينَ، فِي الْخَلَاءِ مُسْتَرِيحِينَ. لَكِنَّ هَؤُلَاءِ الْعَمَالِقَةَ يَسْتَعْدُونَ عَلَيْنَا (يُثِيرُونَ وَيَهِيْجُونَ) خَدَمَهُمْ مِنَ الدَّوَابِّ الْأُخْرَى الَّتِي تَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ.

هَؤُلَاءِ الْخَدَمُ يَرْتَادُونَ (يَقْصِدُونَ) الْأَرْضِيَّ الْمُؤَرَنْبَةَ (الَّتِي تَكْتَرُ فِيهَا الْأَرَانِبُ): يَشْمُونَ رَائِحَتَنَا مِنْ مَسَافَةٍ بَعِيدَةٍ. يُسْرِعُونَ إِلَيْنَا — عَدَا (جَرِيًّا) — حَتَّى يَظْفَرُوا بِنَا، فَيَقْدُمُونَا إِلَى سَادَتِهِمُ الْإِنْسَانِيِّ لَقَمًا سَائِغَةً.

«ابْنُ وَازِعٍ» — ذَلِكَ الْكَلْبُ الَّذِي رَأَيْتَهُ بِعَيْنَيْكَ — هُوَ خَادِمٌ مِنْ خَدَمِ أَوْلَيْكَ الْعَمَالِقَةِ. إِنَّمَا اخْتَارُوهُ لِصَيْدِنَا وَالْفَتْكِ بِنَا، لِمَا وَهَبَهُ اللَّهُ مِنْ قُدْرَةٍ عَجِيبَةٍ عَلَى السَّبَاقِ وَالْعَدُوِّ. أَعْرِفْتَ السَّرَّ فِيمَا حَدَّثَ لَنَا مَعَهُ الْيَوْمَ؟»
قَالَتْ «زَهْرَةُ الْبَرْسِيمِ»: «أُوهِ! فَهَمْتُ كُلَّ شَيْءٍ، يَا أُمِّي. لَسْتُ أَكْتُمُ مَا بَعَثَهُ «ابْنُ وَازِعٍ» مِنَ الرُّعْبِ فِي قَلْبِي، حِينَ دَوَّى (عَلَا وَاشْتَدَّ) نُبَاحُهُ الْمُفْرِعُ فِي أُذُنِي.»

(٨) جِلْدُ الْأَرَنْبِ

قَالَتْ «عَكْرِشَةُ» وَهِيَ تَلْحَسُ شَعْرَ ابْنَتِهَا الْأَبْيَضِ الْجَمِيلِ: «حَدَّثْتُكَ أَنَّ النَّاسَ يَطْعُمُونَ لَحْمَنَا. هَلْ عَرَفْتَ، يَا «زَهْرَةُ الْبَرْسِيمِ»، مَاذَا يَصْنَعُونَ بِجِلْدِنَا — مَعَشَرَ الْأَرَانِبِ — بَعْدَ أَنْ يَأْكُلُوا لَحْمَنَا الشَّهِيَّ؟ إِنَّهُمْ يَتَّخِذُونَ مِنْ جِلْدِنَا — كَمَا يَتَّخِذُونَ مِنْ جِلْدِ ابْنِ عَمَّنَا «الْأَرَنْبِ الْبُرِّيِّ» — قَلَانِسَ (أَعْطِيَهُ لِرُءُوسِهِمْ) فِي الشِّتَاءِ، فَيَتَّقُونَ بِهَا بَرْدَهُ الْقَارِسِ (الْقَوِيَّ الْعَنِيفَ).»

غَضِبَتْ «زَهْرَةُ الْبَرْسِيمِ» قَائِلَةً: «يَا لَهُ نَبَأٌ هَائِلًا، يَا أُمَاهُ! فَلْنَحْمَدِ اللَّهَ عَلَى أَنْ مَنَحَ أَذُنَيْنِ سَمِيعَتَيْنِ لَوْلَا يَقْظَتُكَ وَانْتِبَاهُكَ، لِأَصْبَحْنَا فِي قَبْضَةِ أَوْلَيْكَ الْعَمَالِقَةِ.»

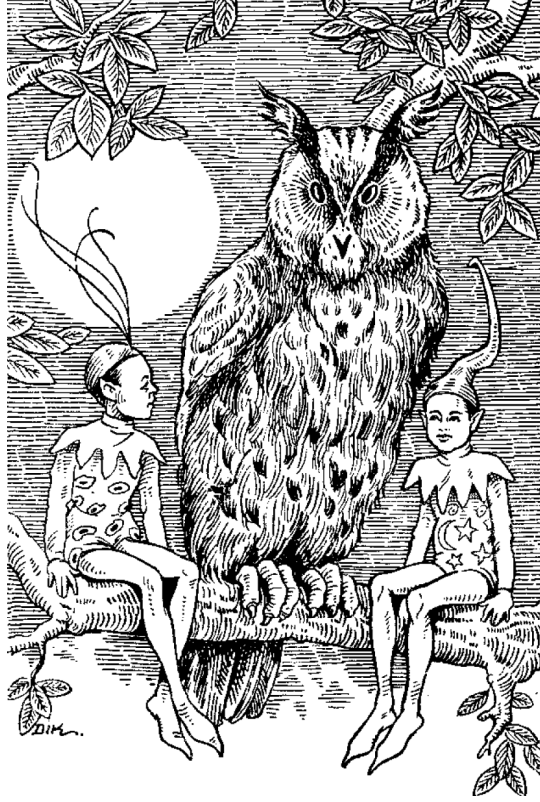
قَالَتْ «عِكْرَشَةُ»: «إِنَّهُمْ — لِفَرَطٍ إِعْجَابِهِمْ بِجَمَالِ فَرَوْنَا — يُطْلِقُونَ عَلَى بَعْضِ شَيَابِهِمْ اسْمَ: النَّيَابِ الْمَرْنَابَانِيَّةِ؛ لِأَنَّهُمْ يَخْلُطُونَ غَزْلَهَا بِشَعْرِنَا.»

(٩) هَدِيَّةُ «الْحَزَنِّ»

فِي هَذِهِ اللَّحْظَةِ، سَمِعَتَا ضَجَّةً كَبِيرَةً بِالْقُرْبِ مِنْ مَكُوْهِمَا (الْجُحْرِ الَّذِي تَسْكُنُهُ الْأُسْرَةُ الْأَزْنَبِيَّةُ)؛ فَعَلِمَتَا أَنَّ الْأُسْرَةَ قَادِمَةٌ إِلَيْهِمَا مِنْ رَحْلَتِهَا ... وَقَدْ اسْتَقْبَلَتَاهَا — حِينَئِذٍ — فَرَاتَا أَمَارَاتِ الْفَرَحِ بَادِيَةً عَلَى وَجْهِ «الْحَزَنِّ» وَأَوْلَادِهِ.
قَرَّ قَرَارُهُمْ. قَالَ «الْحَزَنُّ»: «مَا كَانَ أَسْعَدَهَا لَيْلَةً، وَالَّذِي طَعَامًا! لَقَدْ جِئْتُكُمَا بِشَيْءٍ مِنَ الْبُرْسِيمِ، لِتُشْرِكَنَا فِي هَذَا الطَّعَامِ السَّائِعِ الْهَبِيِّ.»

خَاتِمَةُ الْقِصَّةِ

حَدَّقَ «الْحَزَنُّ» فِيهِمَا بُرْهَةً (زَمَنًا طَوِيلًا)، ثُمَّ قَالَ مَدْعُورًا: «يَلُوحُ (يُظْهَرُ) لِي أَنَّ حَادِثًا أَلَمَ بِكُمَا؛ فَإِنِّي أَرَى أَمَارَاتِ الْحَزَنِ مُرْتَسِمَةً عَلَى وَجْهِكُمَا!»
قَصَّتْ «عِكْرَشَةُ» عَلَيْهِ ذَلِكَ الْحَادِثَ الرَّاعِبَ الْمَرْهُوبَ الَّذِي عَرَضَ لَهُمَا.
كَانَتِ الْأَرَانِبُ الصَّغَارُ جَالِسَةً تُنْصِتُ إِلَى حَدِيثِ «عِكْرَشَةَ» — فِي صَمْتٍ وَدَهْشَةٍ — وَآذَانُهَا مُنْتَصِبَةٌ مُمْتَدَّةٌ إِلَى الْأَمَامِ، وَأَذْنَابُهَا مُرْتَفَعَةٌ.
لَمَّا انْتَهَى حَدِيثُ «عِكْرَشَةَ» أَقْبَلَ عَلَيْهَا بَنُوْهَا وَبَنَاتُهَا يُلْحَسُونَ أَعْيُنَ أُمِّهِمُ الْعَجُوزِ الرَّءُومِ، وَأَخْتُهُمُ الصَّغِيرَةُ الْجَمِيلَةُ «زَهْرَةُ الْبُرْسِيمِ».



أُمُّ الصَّبِيَّانِ

عَاشَ — مَنِ الْجِنَّ — تَابِعَانِ
وَصَاحِبَا بُومَةٍ ظَرِيفَةٍ
عَاشَتْ وَعَاشَا فِي خَيْرِ صُحْبَةٍ
وَذَاتَ يَوْمٍ ظَلَّتْ تَصِيحُ
فَأَقْبَلَ التَّابِعَانِ تَوًّا
فِي سَالِفِ الْعَصْرِ وَالْأَوَانِ
مُهِذَّبًا طَبْعُهَا، أَلِيفَهُ
وَأَلْفَا — بِالْوَدَادِ — عُضْبَهُ
وَصَوْتُهَا مُنْكَرٌ قَبِيحُ
لِمَصْدَرِ الصَّوْتِ جِئْنَ دَوَى

وَدَانِيَاها مُسْتَعْجِبَيْنِ وَسَلَّاهَا مُسْتَفْسِرَيْنِ:
«مَا بَالُ أُمِّ الصَّبِيَّانِ تَعْوِي؟»

قَالَتْ:

«مِنَ الْجُوعِ كِدْتُ أَذْوِي!
لَا حَشَرَاتٍ فِي أَيِّ وَايِي وَلَا بَعُوضٌ يَكُونُ زَايِي
ظَلِلْتُ لَيْلِي، وَلَيْلَ أُمْسِ، بَاحِثَةً عَنْ بَنَاتِ عُرْسِ
أَوْ فَارَةً تَغْتَدِي طَعَامِي أَوْ جُرَذٍ ضَلَّ فِي الظَّلَامِ
أَوْ أَرْنَبٍ - فِي الْحُقُولِ - يَجْرِي أَوْ طَائِرٍ - فِي الْهَوَاءِ - يَسْرِي
عَزَّتْ جَمِيعًا، وَعِيلَ صَبْرِي وَضِقْتُ ذَرْعًا، وَضَاقَ صَدْرِي!»

قَالَ لَهَا التَّابِعَانِ:

«صَبْرٌ بَرٌّ، فَلَيْسَ يُجْدِي الْعَوِيلُ أَمْرًا
وَلَيْسَ يُغْنِي بُكَاءُ بَاكِي، وَلَيْسَ يُجْدِي صُرَاخُ شَاكِي
فَضَاعَفِي الْجِدَّ وَالرَّجَاءَ وَاسْتَطَهَمِي الْعِزَّمَ وَالْمَضَاءَ
فَالْجِدُّ بِالْحَازِمِينَ أَجْدَى وَالصَّبْرُ أَوْلَى بِهِمْ وَأَهْدَى
الْجِدُّ خَيْرٌ مِنَ الصِّيَاحِ وَالنَّدْبِ وَالْحُزْنِ وَالنُّوْحِ!»

أعلام الحيوان

«نُثِبْتُ فِي هَذَا الْمُعْجَمِ الصَّغِيرِ طَائِفَةً مِنْ أَسْمَاءِ الْحَيَوَانِ وَكُنَاهُ وَالْقَابَهُ، لِيَرْجَعَ إِلَيْهَا
الْمُدَرِّسُ عِنْدَ الْحَاجَةِ»

(أ)

ابْنُ عَرِسٍ: السُّرْعُوبُ

أَبُو فَصَادَةٍ: الذُّعْرَةُ: أُمُّ عَجَلَانَ

الْأَتَانُ: أُمُّ الْهَنْزِرِ: أُمُّ تَوَلَبَ

الْأَرْزَبُ: أَبُو نَبْهَانَ: الْخُزْزُ: الْخَرْنِقُ (وَالْخَرْنِقُ الْفَتَّى مِنَ الْأَرَانِبِ)

الْأَرْزَبَةُ: عَكْرَشَةُ

الْأَسَدُ: أَبُو الْأَمْنِ: أَبُو فِرَاسٍ

أُمُّ عُوَيْفٍ: أُمُّ حُبَيْنَ: دُوَيْبَةُ صَغِيرَةٌ ضَخْمَةُ الرَّأْسِ، مُخَضَّرَةٌ، لَهَا ذَنْبٌ طَوِيلٌ، وَأَرْبَعَةٌ
أَجْنَحَةٌ، إِذَا رَأَتْ الْإِنْسَانَ قَامَتْ عَلَى ذَنْبِهَا، وَنَشَرَتْ أَجْنَحَتَهَا، وَهِيَ لَا تَطِيرُ. وَيُقَالُ لَهَا
«نَاشِرَةٌ بُرْدِيهَا» يَلْعَبُ بِهَا الصَّبِيَانُ وَيَقُولُونَ لَهَا:

أُمُّ عُوَيْفٍ أَنْشَرِي بُرْدِيكَ ثُمَّتَ طِيرِي بَيْنَ صَحْرَاوَيْكَ
إِنَّ الْأَمِيرَ خَاطِفٌ بِنْتِيكَ بِجَيْشِهِ وَنَاطِرٌ إِلَيْكَ

(ب)

الْبَارِزِي: أَبُو الْأَشْعَبِ

الْبَرْص: أَبُو بَرْص: سَامَ أَبَرْص: أَبُو سَلْمَى: أَبُو سَلْمَانَ

الْبَرْغوث: أَبُو طَاهِر

البطة: أُم حَفْصَة (تَقُولُ: هَذَا بَطَّةٌ، وَهَذِهِ بَطَّةٌ، كَمَا تَقُولُ: هَذَا بَقْرَةٌ، وَهَذِهِ بَقْرَةٌ، لِتَعَيِّنَ الذُّكُورَ وَالْإِنَاثَ)

البغل: أَبُو الْأَخْطَلِ

البقرة: الْجَوْذُرَةُ: الْخَنَسَاءُ (بَقْرَةٌ مُعْجِلٌ: ذَاتُ عِجْلٍ)

الْبُومَةُ: أُمُّ الْخَرَابِ: أُمُّ الصَّبِيَّانِ: غُرَابُ اللَّيْلِ

(ت)

التَّيْسُ: أَبُو بَجِيرٍ

(ث)

التُّغْلُبُ: أَبُو الْحُصَيْنِ: التُّغْلَبَانُ (أُنْثَاهُ: تُغَالُ. وَوَلَدُهُ: الْهَجْرُسُ)

التُّورُ: أَبُو زَرْعَةَ: أَبُو فَرْقَدٍ: الْأَخْنَسُ (أُنْثَاهُ الْخَنَسَاءُ)

(ج)

الْجَامُوسُ: أَبُو الْعَرْمَضِ

الْجَحْشُ: التَّوَلُبُ

الْجَدْعُ: التَّيْسُ فِي السَّنَةِ الثَّانِيَةِ

الْجَرَادُ: أَبُو قَيْسٍ: أَبُو عَوْفٍ: الْعُنْظُبُ: الْعُنْظُوبُ (أُنْثَاهُ، الْعُنْظَوَانَةُ، وَوَلَدُهُ السَّرْوَةُ)

الْجَفْرُ: وَلَدُ الْمِعْزَى بَعْدَ مَا يُقْطَمُ (جَمْعُهُ: جَفَار)

الْجَمَلُ: أَبُو أَيُّوبَ (الْجَمَلُ ذُو السَّنَامَيْنِ: الْقِرْعَوْشُ، وَالْفَلَجُ)

(ح)

الْحِدَاةُ: أَبُو الْخَطَافِ

الْحِصَانُ: لَاحِقُ (أُنْثَاهُ الْجَجْرُ، وَوَلَدُهُ الْمُهْرُ)

الْحَظِيرَةُ: الزَّرِيْبَةُ: الْمَعِطُنُ: الْعَطْنُ: الْمَرِيضُ: الْكِتَاسُ: الْإِصْطَبَلُ

الْحُلَانُ: الْجَدِي الَّذِي يُشَقُّ عَنْهُ بَطْنُ أُمِّهِ

الْحِمَارُ: ابْنُ الْمَرَاغَةِ: أَبُو زِيَادٍ: أَبُو صَابِرٍ

الْحِمَارَةُ: أُمُّ تَوْلَبٍ: أُمُّ وَهَبٍ: أُمُّ نَافِعٍ

الْحِمَامُ: أَبُو النَّظِيفِ (أُنْثَاهُ عِكْرِمَةُ، وَوَلَدُهُ: مُجٌّ: بُجٌّ: عَزْهَلُ)

الْحَيَّةُ: بِنْتُ الدَّوَاهِي

الْحَيَوْتُ: أُنْثَاهُ الْحَيَّةُ

(خ)

الْخِنْزِيرُ الْبَرِّيُّ: الْعِفْرُ: أَبُو جَهْمٍ: أَبُو دَلْفٍ (وَلَدُهُ الْخَنَوُصُ)

(د)

الدُّبُّ: أَبُو جُهِينَةَ (وَلَدُهُ الدَّيْسَمُ)

الدَّيْكُ: أَبُو يَقْطَانٍ (أُنْثَاهُ: الدَّجَاجَةُ، وَابْنُهُ: الْبَرْنِيُّ، وَبِنْتُهُ: الْفَرَّوَجَةُ)

(ذ)

الذُّنْبُ: أَبُو جَعْدَةُ: عَسَعَسَ (أُنْثَاهُ: جَهِيْزَةُ)

(ر)

الرَّبْرَبُ: جَمَاعَةُ الْبَقَرِ

الرَّخْلَةُ: الْأُنْثَى مِنَ الْحُمَلَانِ

الرَّخْمُ: الْعُدْمُ (أُنْثَاهُ الرَّحْمَةُ، أَوْلَادُهُ: النَّقَانِقُ)

الرَّقْشَاءُ: الْعَنْزُ السَّوْدَاءُ الْمُنْقَطَةُ بِبَيَاضٍ

(ز)

الزَّرَافَةُ: أُمُّ عَيْسَى

(س)

السَّخْلَةُ: وَلَدُ الْمَاعِزِ سَاعَةً وَضَعِهِ (جَمْعُهُ: سَخَال)

السَّرَطَانُ: أَبُو بَحْرِ

السَّلْحَفَاءُ: بِنْتُ طَبَقٍ

السَّمَكُ: أَبُو الْعَوَامِ: بِنْتُ دِجْلَةَ

(ش)

الشَّاءُ: أُمُّ الْأَشْعَثِ (أَرْضُ مَشَاهَةِ: ذَاتُ شَاءٍ)

(ض)

الضَّبُّ: أَبُو حَسِلٍ

الضَّبْعُ: أُمُّ قَشْعَمَ

الضَّفِيعُ: الْعُلْجُومُ: أَبُو هُبَيْرَةَ: الْقَرَّةُ: الْعُدْمُولُ: النَّقَاقُ

الضَّفِيعُ الصَّغِيرُ: الشَّرْعُ

الضَّفِيعَةُ: أُمُّ هُبَيْرَةَ: الْهَاجَةُ (وَيُسَمَّى بَيضُهَا: الْقُرَّ)

(ط)

الطَّائُوْسُ: أَبُو الْحُسَيْنِ

الطَّلِيُّ: وَلَدُ الشَّاةِ أَوَّلَ مَا يَسْقُطُ (جَمْعُهُ: طَلِيَان)

(ظ)

الظَّبِيَّةُ: أُمُّ حَشْفٍ: أُمُّ عَزَّةَ (الْحِشْفُ: وَلَدُهَا. عَزَّةُ: بِنْتُهَا)

(ع)

الْعَقَابُ: الْغَرَنُ (أُنْثَاهُ: الْقَنَوَاءُ، وَلَدُهُ النَّاهِضُ)

الْعُقْرَبُ: الْعُقْرَبَانُ (أُنْثَاهُ: عَقْرَبُ: أُمُّ عَرِيْطٍ، وَلَدُهُ الْفِصْعُلُ)

الْعُنْكَبُ: أَبُو حَيْمَةَ: أَبُو قَشْعَمَ: الْعَكَاشُ: الرُّتَيْلَاءُ

الْعُنْكَبَةُ: أُمُّ قَشْعَمَ: الْعُنْكَبُوتُ

(غ)

الْعُرَابُ: ابْنُ دَايَةَ
الْعَزَالُ: أَبُو الْحُسَيْنِ

(ف)

الْفَارُ: أَبُو أَدْرَاصِ
الْفَارَةُ: أُمُّ رَاشِدٍ
الْفَرَسُ: أَبُو الْمَضَاءِ
الْفَهْدُ: أَبُو حَيَّانَ
الْفِيلُ: كُتُومُ: أَبُو الْحَجَّاجِ: أَبُو الْحَرَمَانِ: أَبُو دَغَلٍ: أَبُو كُتُومٍ: أَبُو مُزَاحِمٍ (وَأُنْثَاهُ:
عَيْثُوم)

(ق)

الْقَرْدُ: الرَّبَّاحُ (أُنْثَاهُ الدَّحِيَّةُ، وَلَدُهُ الْقَشَّةُ)
الْقِطُّ: أَبُو خِدَاشِ
الْقَطَا: الْيَعْقُوبُ (أُنْثَاهُ قَطَاةٌ، وَلَدُهُ النَّهَارُ)
الْقَمْلَةُ: أُمُّ طَلْحَةَ
الْقَهْبُ: الْأَبْيَضُ مِنْ أَوْلَادِ الْبَقَرِ. الْمَارِي: الْجُودُ

(ك)

الْكَبِشُ: الشَّقْحَطَبُ (وَهُوَ اسْمُ الْكَبِشِ لَهُ قَرْنَانِ أَوْ أَرْبَعَةٌ، كُلُّ مِنْهَا كِشَقٌ حَطَبٍ)

الْكُرْكِيُّ: أَبُو نَعِيمٍ

الْكِرْوَانُ: الطَّرِيقُ (وَلَدُهُ: اللَّيْلُ) (جَمْعُهُ: كِرْوَانٌ، وَكَرَاوِين)

الْكَلْبُ: ابْنُ وَازِعٍ: أَبُو خَالِدٍ وَاشَقُّ (أُنْثَاهُ: بَرَاقِشٌ، وَلَدُهُ: قَطْرُبٌ)

الْكَلْبَةُ: أُمُّ يَعْفُورٍ

(ل)

اللَّبْوَةُ: أُمُّ شَبِيلٍ

اللِّيَاخُ: الثَّوْرُ الْأَبْيَضُ

(ن)

النَّاقَةُ: أُمُّ حَوًّا: بِنْتُ الْبَيْدِ

النَّحْلُ: الثَّوْلُ (أُنْثَاهُ: النَّحْلَةُ، وَلَدُهُ: الرِّصْعَةُ)

النَّسْرُ: أَبُو الْأَبْدِ: الضَّرِيكُ (أُنْثَاهُ: الْعِترَةُ، وَلَدُهُ: الْهَيْئَمُ)

النَّعَامَةُ: أُمُّ الْبَيْضِ

النَّعْجَةُ: أُمُّ فَرْوَةٍ: الطُّوبَالَةُ

النَّمِرُ: أَبُو جَهْلٍ

النَّمْسُ: الدَّلَقُ

النَّمْلَةُ: أُمُّ مَازِنٍ: أُمُّ مَشْغُولٍ: بِنْتُ الشَّيْصَبَانِ

(هـ)

الْهَذْهُدُ: أَبُو الْأَخْبَارِ

الْهَرُّ: مُحَايَشُ (وَلَدُهُ: الدَّرْصُ)

(و)

الْوَزُّ: أَبُو زَفِيرٍ: أَبُو زَفِيرٍ

الْوَزَغُ: أَبُو سَلْمَانَ

أُسْرَةُ الْحَيَوَانِ

الْأَرْبُ

اسْمُهُ: الْخَزْرُ

كُنْيَتُهُ: أَبُو نَبْهَانَ

أُنْثَاهُ: عَكْرِشَةُ

وَلَدُهُ: الْخَرْبِقُ

التَّوْرُ

أُنْثَاهُ: الْبَقَرَةُ

لَقَبُ التَّوْرِ: الْأَخْنَسُ

لَقَبُ الْبَقَرَةِ: الْخَنَسَاءُ

الْبِطُّ

اسْمُهُ: الْعُلْجُومُ

أُنْثَاهُ: الْبِطَّةُ

كُنْيَتُهُ: أُمُّ حَفْصَةَ

التُّعْلَبُ

اسْمُهُ: التُّعْلَبَانُ

أُنثَاهُ: تُعَالُ، أَوْ: تُعَالَةُ

وَلَدُهُ: الْهَجْرِسُ

كُنْيَتُهُ: أَبُو الْحَصِينِ

الْجَرَادُ

اسْمُهُ: الْعُنْظُبُ

كُنْيَتُهُ: أَبُو قَيْسٍ، وَأَبُو عَوْفٍ

أُنثَاهُ: الْعُنْظَوَانَةُ

ولده: السَّرْوَةُ

الْحَمَامُ

أُنثَاهُ: عِكْرِمَةُ

وَلَدُهُ: مُجٌّ. بُجٌّ. عَزْهَلٌ

كُنْيَتُهُ: أَبُو النَّظِيفِ

الْحَيَاتُ

أُنثَاهَا: الْحَيَّةُ

رَوْجُهَا: الْحَيُّوتُ

الْخَنْزِيرُ

اسْمُهُ: الْعُفْرُ

كُنْيَتُهُ: أَبُو دَلْفٍ، وَأَبُو عُقْبَةَ

وَلَدُهُ: الْخَنُوصُ

الدَّجَاجُ

زَوْجُهَا: الدِّيكُ، الْعُتْرَفَانُ

الْأُنثَى: الدَّجَاجَةُ

ابْنُهَا: الْبَرْنِيُّ

بَنَاتُهَا: الْفَرُوجَةُ

كُنْيَةُ الدِّيكِ: أَبُو يَقْظَانَ

الدُّبُّ

اسْمُهُ: عَسْعَسُ

أُنْثَاهُ: جَهِيرَةٌ

كُنْيَتُهُ: أَبُو جَعْدَةَ

الرَّحْمُ

اسْمُهُ: الْعُدْمُلُ

أُنْثَاهُ: الرَّحْمَةُ

أَوْلَادُهُ: النَّقَانِقُ

الْعُقَابُ

اسْمُهَا: الْعَرَنُ

أُنْثَاهَا: الْقَنْوَاءُ

وَلَدُهَا: النَّاهِضُ

الْعُقْرَبُ

إِنَاثُهَا: الْعُقْرَبُ

ذُكُورُهَا: الْعُقْرَبَانُ

أَوْلَادُهَا: الْفُصْعُلُ

الْعُنْكَبُوتُ

اسْمُهَا: الْعُكَاشُ

أُنْثَاهَا: الْعُنْكَبُوتُ، أَوْ: الْعُنْكَبَةُ

كُنْيَتُهَا: أَبُو حَيْثَمَةَ

الْفِيلُ

اسْمُهُ: كَلْبُومٌ

أُنْثَاهُ: عَيْثُومٌ

وَلَدُهُ: الدَّعْفَلُ

كُنْيَتُهُ: أَبُو الْحَجَّاجِ

الْقِرْدُ

اسْمُهُ: الرَّبَّاحُ

أُنْثَاهُ: الدَّحِيَّةُ

وَلَدُهُ: الْقِشَّةُ

الْقَطَا

مِنْ أَسْمَائِهِ: الْيَعْقُوبُ

أُنْثَاهُ: قَطَاة

وَلَدُهُ: النهار

الْكِرْوَانُ

اسْمُهُ: الطَّرِيقُ، أَوْ: الطَّرِيقُ

وَلَدُهُ: اللَّيْلُ

الْكَلْبُ

مِنْ أَسْمَائِهِ: وَاشِقُ

كُنْيَتُهُ: أَبُو خَالِدٍ

أُنْثَاهُ: بَرَاقِشُ

وَلَدُهُ: قُطْرُبُ

النَّسْرُ

اسْمُهُ: الضَّرِيكُ

أُنْثَاهُ: الْعِترَةُ

وَلَدُهُ: الْهَيْئَمُ

النَّحْلُ

اسْمُهُ: النَّوْلُ

أُنْثَاهُ: النَّحْلَةُ

وَلَدُهُ: الرَّصْعَةُ

الْقِطُّ

اسْمُهُ: مُحَايِشٌ

أُنْثَاهُ: سَنُورَةٌ

وَلَدُهُ: الشَّبْرُقُ

